

كتب قداسة البابا شنودة الثالث



www.st-mgalx.com

البابا شنودة الثالث

①

هروب الشياطين



البابا شنودة الثالث
سلسلة الحروب الروحية



حروب الشياطين

Diabolic Wars

by H. H. Pope Shenouda III

1st Print
Oct. 1984
Cairo

الطبعة الأولى
أكتوبر ١٩٨٤
القاهرة



قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

فهرست

صفحة

.....	محتويات الكتاب	٥
.....	قصة هذا الكتاب	٦
الفصل الأول :		
.....	طبيعة حروب الشياطين	٧
الفصل الثاني :		
.....	صفات الشيطان في حروبه	١٥
الفصل الثالث :		
.....	حيل الشيطان	٣٣
الفصل الرابع :		
.....	كيفية الإنتصار على حروب الشياطين	٩١
الفصل الخامس :		
.....	فوائد الحروب الروحية	١١٥
.....	قائمة بمؤلفات البابا شنودة الثالث	١١٩

قصة هذا الكتاب

كثيرة جداً هي المحاضرات التي ألقيناها عن الحروب الروحية. أما هذا الجزء الخاص بحروب الشياطين فقد اعتمدنا فيه على تسع محاضرات، بحسب التواريخ الآتية:

١ - ٢ - محاضرتان عن (حروب الشياطين) في يومى الجمعة ٢٧/٣/٧٠، ١٠/٤/١٩٧٠.

٣ - ٥ - ثلاث محاضرات تأمل في عبارة (نجنا من حيل المضاد) من سلسلة تأملات في تحليل الغروب، أُلقيت في أيام الجمعة ٤/٨/٧٢، ١١/٨/٧٢، ١٨/٨/١٩٧٢.

٦ - محاضرة عن حرب الشيطان أُلقيت في الصوم الكبير في مساء الجمعة ١٩٧٣/٣/٢ عنوانها (نبدأ، ويبدأ معنا).

٧ - محاضرة عنوانها إذهب يا شيطان ، أُلقيت في الصوم الكبير سنة ١٩٧٤ .

٨ - محاضرة موضوعها (الحروب الروحية) أُلقيت مساء الجمعة ٧/٣/١٩٨٠ .

٩ - مقتبسات من محاضرات عن حياة النقاوة عن (حرب المسميات) ، وأيضاً عن موضوع (الشيطان يعدّل خطّته) .

الفصل الاول

سيرة
حروب الشياطين

الحروب الروحية سمح بها الله لفائدتنا ... ووراءها أكاليل . وعلى رأى أحد
القديسين الذى قال :

لا يكلل إلا الذى انتصر . ولا ينتصر إلا الذى حارب .

فهى من جهة الله إختبار لحرية إرادتنا ، وإعطاؤنا الفرصة التى نستحق بها خيرات
الملوكوت ، إذا انتصرنا... أما من جهة الشيطان ، فمن طبيعته أن يقاوم ملكوت الله ،
ويحارب الساعين إليه . وهو يحارب الله فى شخص أولاده . ويشتكى عليهم كما حدث
فى قصة أيوب الصديق (أى ١ ، ٢) . وهو يحسد السالكين فى حياة البر ، لكى لا ينالوا
البركة الإلهية التى حُرِمَ هو منها .

وحروب الشياطين هى ضد الكل ، لم ينبُج منها أحد .

ونحن حينما نتكلم عن هذه الحروب ، إنما نقصد الحرب التى يثيرها الشيطان وكل
جنوده وأعوانه .

منذ أيام آدم وحواء وإبنها قايين ، والشيطان قائم يحارب ، يحاول بكل جهده أن
يلقى البشرية تحت حكم الموت الأبدى . وقد أسقط أنبياء ورسلأ ، وأشخاصاً حلَّ
عليهم روح الرب مثل داود وشمشون اللذين تابا ، ومثل شاول الملك الذى رفضه
الرب ، وفارقه روح الله « وبغته روح ردىء من قبل الرب » (١ صم ١٦ : ١٤) .

فلا تظنوا أن حروب الشياطين هى للمبتدئين فقط أو للخطاة .

كلا ، فهو يحارب الكل ، مهما كانوا نامين فى النعمة ، بل يحارب هؤلاء بالأكثر .
لذلك على كل إنسان أن يحترس ، وأن لا يظن بأنه قد ارتفع فوق مستوى حروب
معينة . ولنتذكر أن معلمنا داود النبى حارب بخطية زنا وسقط فيها ، مع أنه كان قد
حلَّ عليه روح الرب وصار مسيحاً له... إن الشيطان يريد أية فريسة .

وقد وصفه القديس بطرس الرسول بعبارة خطيرة قال فيها :

« إبليس خصمكم كأسد زائر ، يحول ملتصقاً من يبتلعه هو » (١ بط ٥ : ٨) .

وهو دائم الجولان لصيد فرائسه . ولما سأله الرب (فى قصة أيوب) « من أين جئت ؟ »
أجاب فى صراحة « من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها » (أى ١ : ٧ ، ٢ : ٢) .
وطبعاً الفرض من هذا الجولان هو البحث عن أية فريسة يسقطها ...

والشيطان لا ييأس ، مهما كان الذى يحاربه قوياً .

بل قيل عن الخطيئة إنها « طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلها أقوياء » (أم
٢٦ : ٧) . والشيطان لم يتورع عن محاربة حتى رسل المسيح الإثنى عشر . وقد قال
الرب فى ذلك للقديس بطرس الرسول « هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم
كالخنطة . ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك » (لو ٢٢ : ٣١ ، ٣٢) .
ولنتذكر أن إيليا النبى العظيم الذى أضعده الله إلى السماء ، قال عنه القديس يعقوب
الرسول « إيليا كان إنساناً تحت الآلام مثلنا » (يع ١٧ : ٥) .

بل إن الشيطان تجرباً أن يجرب السيد المسيح نفسه .

فقدم له ثلاث تجارب على الجبل (متى ٤) . ولم يشنه عن ذلك كل الذى كان
يعرفه عن المسيح . ولم تشنه الإعلانات الإلهية التى سبقت ذلك وقت العماد (متى ٣ :
١٣ - ١٧) . بل حاربه طوال الأربعين يوماً (مر ١ : ١٣ ، لو ٤ : ٢) .

وقيل عن السيد المسيح إنه « كان مجرباً فى كل شىء مثلنا ، بلا خطيئة » (عب
٤ : ١٥) . وإنه « فيها هو قد تألم مجرباً بقدر أن يعين المجربين » (عب ٢ : ١٨) .
حقاً إن تجارب المسيح من الشيطان عزاء لنا فى كل تجاربنا ... إن حلت بك تجربة
فلا تتضايق ، إن المسيح قد جرب من قبلك ، وكما انتصر المسيح سوف تنتصر أنت
أيضاً .

**إن حروب الشياطين موجهة ضد الله نفسه وضد ملكوته ، وضد هياكله
المقدسة التى هى نحن .**

فهو يريد أن يقاوم هذا الملكوت بكافة الطرق . ويفرح إن أمكنه أن يسقط « حتى
المختارين أيضاً » (متى ٢٤ : ٢٤) .

وإن كانت ملائكة السماء تفرح بخاطيء واحد يتوب (لو ١٥ : ١٠) ، فلا شك
أن الشياطين تفرح ببار واحد إذا سقط ، بل تفرح بسقوط أى أحد يخضع لهم .

والقديس بولس الرسول ، يشرح هذه الحروب الروحية فيقول :

« إلبسوا سلاح الله الكامل ، لكي تقدرُوا أن تثبتُوا ضد مكايِد إبليس . فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء مع السلاطين ... مع أجناد الشر الروحية في السماويات ... » (أف ٦ : ١١ ، ١٢) .

وشرح كيف أن هذه الحروب الروحية تحتاج إلى أسلحة روحية لمقاومتها ، ذكرها الرسول في نفس الأصحاح بالتفصيل ... ولا بد لها من معونة الله ، الذي قال « بدوني لا تقدرُونَ أن تفعلُوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) . وفي هذه الحرب الروحية ما أجل أن نتذكر قول داود النبي « الحرب للرب » (١ صم ١٧ : ٤٧) .

والحروب الروحية حروب دائمة . قد تتنوع ، ولكن لا تنتهي .

طالما أنت في الجسد ، فأنت معرض لهذه الحروب ، التي نظل معك حتى الموت . ولذلك قال القديس بطرس الرسول « سيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) . ولا يقصد بالخوف ، الرعب من الشياطين ... إنما الخوف الذي يدعو إلى الحرص والتدقيق .

بالنسبة إلى الفرد ، الحرب تستمر حتى الموت . وبالنسبة إلى العالم ، تستمر مدى الدهر ، إلى نهاية العالم . حتى أن الشيطان حينما يُحل من سجنه ، يخرج ليضل الأمم (رؤ ٢٠ : ٧ ، ٨) . وفي نهاية الأيام سيكون هناك ارتداد عن الإيمان (١ تي ٤ : ١) ، « وستأتي أزمئة صعبة » (٢ تي ٣ : ١) . وقبل مجيء المسيح سيكون الارتداد العام (٢ تس ٢ : ٢) . وسيبذل الشيطان كل جهده ، وسينزل إلى الأرض « ووه غضب عظيم ، عالمًا أن له زماناً قليلاً بعد » (رؤ ١٢ : ١٢) .

والحرب الدائمة التي للشيطان قد تشتد في الأوقات المقدسة .

فالشيطان يتضائق جداً ، حينما نبدأ في أي عمل روحي . ويسعى بكل الحيل لثلا تغفل الفريسة من يده . فنحن نبدأ العمل الروحي ، ويبدأ هو معنا حروبه وحيله ومخططاته الكثيرة .

فنحن نبدأ العمل الروحي ، وهو يبدأ المقاومة .

لأنه لا يستريح لأية صفة لنا مع الله . يظن أن هذه تهدد ملكه بالضياع . ومن العبارات الجميلة في بستان الرهبان : إنه عندما يرق جرس الصلاة في نصف الليل ، فإنه لا يوقظ الرهبان فقط للصلاة وإنما أيضاً يوقظ الشياطين لكي يحاربوا الرهبان

وَيَمْنَعُوهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ ... وَلِذَلِكَ قَالَ الْقَدِيسُ مَارْأَوْغَرِيسُ :
إِذَا بَدَأْتَ الصَّلَاةَ الطَّاهِرَةَ ، فَاسْتَعِدْ لِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْكَ .

إننا إذا بدأنا في الوسائط الروحية أياً كانت ، سواء في عمل الصلاة ، أو التأمل ، أو التسبيح ، أو القراءات الروحية ، أو المطانيات ... فإن الشيطان لا يقف مكتوف اليدين أو متفرجاً ، إنما يعمل هو أيضاً عمله ، وله أنواع حروب يحارب بها . وما أصدق قول الكتاب في سفر يشوع بن سيراخ :

يَا ابْنِي ، إِنْ تَقَدَّمْتَ لَخْدْمَةِ رَبِّكَ ، فَهَيِّءْ نَفْسَكَ لِجَمِيعِ التَّجَارِبِ .

وهذه الآية نقولها ضمن فصل نتلوه في سيامة الراهب الجديد . كما إنها إحدى قراءات الساعة الثالثة من يوم الثلاثاء من البصحة المقدسة . فالذين يستعدون لقتال الشيطان ، من الطبيعي أن يستعد الشيطان أيضاً لقتالهم . لذلك لا تتعجبوا للحروب التي تصاحب العمل الروحي . وحذار أن تجعلكم هذه الحروب تتراجعون ... بل اثبتوا في قوة ، مهما نالكم من تعب ، متذكرين قول القديس بولس الرسول « كُونُوا رَاسِخِينَ ، غَيْرَ مَتَزَعِّعِينَ ، مَكْتَرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلِّ حِينٍ ، عَالِمِينَ أَنَّ تَعْبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلًا فِي الرَّبِّ » (١ كو ١٥ : ٥٨) .

نحن نبدأ الجهاد ، وهو يبدأ الحرب . نبدأ الروحيات ، فيبدأ المقاومة .

الشيطان مثلاً يتضايق من الصوم ، لأنك فيه تريد أن تتمتع جسدت وتستعبده (١ كو ٩ : ٢٧) ، لكي ترتفع روحك وتلتقي بالله ... والشيطان لا يقبل هذا . كما أنه يتضايق من الصوم الكبير بصفة خاصة ، لأن الناس يسلكون فيه بنسك شديد ، كما أن هذا الصوم يذكر الشيطان بصوم السيد المسيح وكيف قهر الشيطان فيه (متى ٤) . لذلك يجاهد الشيطان أن يعرقل هذا الصوم ، أو أن يثير فيه مشاكل ، حتى ينشغل الناس بالمشاكل ، ويتركوا العمل الروحي .

ولهذا فالبعض يربطون بين هذا الصوم ، والمشاكل والتجارب .

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَمَلَ الرُّوحِيَّ يَثِيرُ حَسَدَ الشَّيَاطِينِ ...

إن الشيطان يحسد الإنسان الروحي على صلته بالله ، التي حُرِّمَ هو منها . ويحسده لأنه هو إنسان ترابي مرتبط بجسد ، يحاول أن يجعل روحه تسمو وتعلو ، بينما الشيطان وهو روح (متى ١٢ : ٤٥) بعيد عن الله ، وروحه روح نجسة (مر ١ : ٢٧) !

ومنذ البدء حسد الشيطان أبونا آدم وحواء وأوقعهما في الخطية وفي حكم الموت .

وهكذا نقول في صلوات القديس الإلهي « والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس » .

والشيطان لا يحسد إلا الناجحين في عملهم الروحي .
يحسد المقربين إلى الله ، والذين لهم دالة عنده . ويحسد التائبين في حرارة التوبة ، والعابدن وهم في عمق الصلاة . ويحسد المتضيقين والودعاء ولأنقياء . ويحارب كل هؤلاء . أما الخاضعون له وللخطية ، والفاترون في حياتهم الروحية . فلماذا يحاربهم ؟! يكفهم ما هم فيه . أو إنه يضعهم تحت المراقبة ، أو يورطهم في حالة أسوأ .

وهنا نذكر بعض أنواع من الحروب الروحية .

ونذكر هنا ثلاثة أنواع رئيسية وهي :

أ - حالة إنسان يحاربه الشيطان حرباً خفيفة أو ثقيلة .

ب - إنسان يحاربه شهواته من داخل . ربما الشيطان قد وضع نقطة البدء ، ثم ترك هذه الفريسة المسكينة يحاربها فسادها الداخلي ، أو تحاربها عاداتها المتوطنة فيها ، المسيطرة عليها . هناك إنسان يحارب من جسده ومن غرائزه ، وآخر يحارب من نفسه أو من فكره .

ج - أما الحالة الثالثة فهي لإنسان يحاربه إخوة كذبة ، أو أناس أشرار ، أو بيئة شريرة تحيط به ، ويمكن أن نسميهم جميعاً « أعوان الشياطين » و « كل جنده » ... ولهذا نعلمنا الكنيسة أن نصلي في آخر صلاة الشكر ونقول : كل حسد ، وكل تجربة ، وكل فعل الشيطان ، ومؤامرة لناس الأشرار ، وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين ... إنزعها عنا وعن سائر شعبك ... » .

وهناك نوع يمكن أن نسميه إمتحاناً أو اختباراً ، وليس حرباً .

وكمثال لهذا يقول الكتاب « وحدث ... أن الله إمتحن إبراهيم . وقال له ... خذ إبنيك وحيدك الذي تحبه إسحق ... وأصعده ... محرقة ... » (تك ٢٢ : ١ ، ٢) . وهنا لم يكن الله يحارب أبانا إبراهيم ، حاشا ... بل كان يمتحن قلبه ليرى عمق محبته له وعمق طاعته ... ونجح أبون إبراهيم في هذا الإختبار ...

القديس والحاطيء كلاهما معرضان للحرب . ولكن ما الفرق بينهما ؟

الفرق الأساسي هو أن القديس له حرب من الخارج فقط . أما داخذه فإنه نقي ، لا يتفق مع الحرب الخارجية بل يرفضها ويقاوم بكل قوته لكي ينتصر عليها .

أما عن الخاطيء أو الشرير فقد تكون الحرب بالنسبة اليه مزدوجة ، من الخارج ومن الداخل معاً . تحاربه إغراءات الشيطان من الخارج ، وتحاربه شهواته من داخل قلبه وفكره . لذلك هو يستسلم لحرب الشيطان ، ويفتح له أبوابه الداخلية . ويقبل أفكاره ومقترحاته مرحباً بها . وإن قاوم - لبقية ضمير فيه - فإنها تكون مقاومة هريئة لا تستمر طويلاً ، ولا تكون جادة في صد أفكار العدو الخارجي .

وحروب القديسين تظهر فيها قوتهم وانتصارهم . أما الخطاة فيهنزمون ...

وقد يسمح الله أحياناً بانزлам القديسين ، مؤقتاً ، لفائدتهم ...

فالإنسان المستصر على طول الخط ، ربما تحاربه الكبرياء ، ويظن في نفسه أنه شيء !! لذلك سمح الله أحياناً أن يهزم القديسون ، لكي تنسحق قلوبهم من الداخل ، ويعيشوا في اتضاع . ولكي يعرفوا قوة العدو وقوته في الحروب ، فيشفقوا على أحوالهم المحاربين . وكما قال القديس بولس الرسول :

« أذكروا المقيدون كأنكم مقيدون معهم . و (اذكروا) المذلين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد » (عب ١٣ : ٣) .

إن الإنسان الذي لم يجرب بحروب الشياطين ، ربما يدين الذين يسقطون أو يحترقونهم ، بعكس الذي قامى وتعب ، فإنه يحس عليهم ويشفق ، ويصلى لأجل خلاصهم . وكما قال الرسول « عالمين أن نفس هذه الآلام تجرى على أخوتكم الذين في العالم » (١ بط ٥ : ٩) ... حقاً ما أربى قول الكتاب في سفر الرؤيا عن الوحش :

« وأعطى أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم » (رؤ ١٣ : ٧) .

بل ما أربى أيضاً ما قيل بعد ذلك « وأعطى سلطاناً على كل قبيلة ولسان وأمة . فسيجد له جميع الساكنين على الأرض ... » (رؤ ١٣ : ٧ ، ٨) . ولكن لثلا يأس البعض من ذلك ، ذكر أن هؤلاء الساجدين هم : الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر الحياة ... أى أثناء الهلاك ... ومع ذلك هم عدد كبير بلا شك يدل على عنف حرب الشيطان وجنوده ... وما يعزينا في ذلك أيضاً ، أن الوحش هو والشيطان ظرحا في بحيرة النار والكبريت (رؤ ٢٠ : ١٠) ...

ولكننا ذكرنا كل هذا ، لكي نكون لدينا حرص .

مادام عدونا بهذه الوحشية ، فلنستمع إذن إلى قول الرسول « أنظروا كيف نسلكون بتدقيق ، لا كجهلاء بل كحكماء ، مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة » (أف : ٥ : ١٥ ، ١٦) . إنتصارات الشيطان لا تدفعنا إلى الخوف ، بل إلى الحرص والتدقيق . وأيضاً تدفعنا إلى عدم الإعتماد على أنفسنا ، وإنما :

في حروبنا نلتصق بالرب ، لأن من عنده المعونة والنصرة .

هو الذى يحارب الشيطان فينا ، وهو الذى يغلب العالم فينا . أليس هو القائل « ثقوا ، أنا قد غلبت العالم » (يو ١٥ : ٣٣) . نعم غلب العالم في حرب الشيطان معه . ويغلب العالم الآن وكل أوان ، في حربه معنا . وكذلك :

« شكراً لله ، الذى يقودنا في موكب نصرته » (٢ كو ٢ : ١٤) .

إنه انتصر على الشيطان في طبيعتنا البشرية . فقدس هذه الطبيعة وباركها ، وأعطاه روح النصر . وهكذا نقول له في القداس الغريغورى « باركت طبيعتي فيك » ... لقد انتصر الشيطان من قبل ، على هذه الطبيعة البشرية . ولكن السيد المسيح أعاد إلى هذه الطبيعة البشرية صورتها الإلهية ، وهيبته في نظر الشياطين ، حينما هزم الشيطان فيها .

فلم يعد الشيطان يرى أن هذه الطبيعة هي لعبته ، ينتصر عليها متى يشاء ... وإذا انهزم أمامها ، يبدأ يخشاها ...

وهذا أيضاً أنقذنا من روح الفشل ، وأعطانا قوة من عنده في حروب الشياطين لنا . وأصبح لنا الرجاء كل حين ، أن المسيح يغلب الشيطان فينا ، حينما « يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا » (أف : ٣ : ١٧) .

وبسبب هذا نحن لا نتضايق من حروب الشياطين ، مادامت يد الرب تكون معنا فيها ، ويحارب عنا وينصرنا ...

الله لا يمنع عنا حروب الشياطين ، إنما يبصرنا فيها .

هو الذى يحارب عنا ، وهو الذى يغلب الشياطين . وبعد ذلك يكسنا ، لأننا سلمناه إرادتنا أثناء حربه عنا ضد الشياطين .

هذه مقدمة بسيطة ننقل بعدها إلى الحديث عن الشيطان وحيه ...

الفصل الثاني

.

صفحة ١٥٥
١٥٥

ينبغي أن نعرف صفات عدونا ، وأسلوبه في القتال ، لنعرف كيف نحاربه .
 فما هي صفات الشيطان ؟ وكيف يحارب ؟ وهل له أسلوب ثابت ، أم أنه يتغير
 في أساليبه حسب تغير الحالة ؟ هذا ما نريد أن نفحصه ، حتى نستطيع أن نواجهه .
 وكما قال بولس الرسول « لئلا يطمع فينا الشيطان . لأننا لا نجعل أفكاره » (٢ كو ١١ : ٢) .

ونستطيع أن نعرف مما رواه لنا الكتاب عن الشيطان أنه :

١ صاحب قتال لا يهدأ

صار عمله منذ سقوطه هو المقاتلة والحاربة . فهو دائماً مقاتل fighter حتى
 قبل إسقاطه لأبويننا الأولين آدم وحواء ، إستطاع أن يُسقط مجموعات من ملائكة
 السماء ، تبعوه وصاروا من جنده من طغمت كثيرة .

ومن ذلك الحين أصبحت هوائته إسقاط الآخرين .

صار يقاتل الكل . وكما أسقط طغمت ملائكية من الكاروبيم والساطين
 والرؤساء والقوات ... كذلك رأيناه يقاتل أنبياء الله ورسله ومسحاء ، ويقاثل
 المتوحدين والسواح والرهبان وكل محبي الله ، وكل من يسمع أنه في خير ، أو في بر .

وقد سمي المعاند والمقاوم ، لأنه دائماً يقاوم ملكوت الله ويعاند مشيئته . كما سمي
 أيضاً الثنين ، والحية القديمة ، وإبليس ، والشيطان (رؤ ١٢ : ٩) ، وقبل الصليب كان
 يسمى رئيس هذا العالم (يو ١٤ : ٣٠) .

وهو في قتاله لا يهدأ مطلقاً ولا يمل ولا يستريح .

دائماً « يجول كأسد يزأر » (١ بط ٥ : ٨) . وقد قال للرب مرتين في قصة أيوب
 إنه مشغول « بالجولان في الأرض واتمشى فيها » (أى ١ : ٧ ، ٢ : ٢) . إنه ساهر

باستمرار يرقب حالة ضحاياه، ويلقى بذاره في كل مكان. وحيثما يزرع لرب حنطة، يأتي هو «ويزرع زواناً وسط الحنطة، فيا الناس ليام» (متى ١٣ : ٢٥) .

وليس البشر فقط ، بل حتى الملائكة يحاربهم .

فقد وقف ضد الملاك ميخائيل يحاججه من جهة جسد موسى النبي (يه ٩) . ووقف ضد أحد الأرباب الذي عمل على أن ينقذ منه يهوشع الكاهن (زك ٣ : ١) ، (٢) . كذلك وقف واحداً وعشرين يوماً ضد الملاك الذي أرسله الرب لدانيال النبي ، لولا تدخل رئيس الملائكة ميخائيل لإعاقته (دا ١٠ : ١٢ ، ١٣) . بل ما أعجب قول الإعلان الإلهي في سفر الرؤيا :

وحدثت حرب في السماء : ميخائيل وملائكته حاربوا الثنين ... وملائكته (رؤ ١٢ : ٧) . إنه يحارب في الأرض وفي السماء ، مع أن كل حروبه تنتهي أخيراً إلى هلاكه وهزيمته ولكنه لا يستطيع أن يبطل الحرب ، لأنها صارت جزءاً من طبيعته . ومن صفات الشيطان أيضاً أنه قوى .

٩- فتوى

لأنه أحد الملائكة «المقتدرين قوة» حسباً وصفهم المثل (مز ١٠٣ : ٢٠) .

هو كمالك فقد طهارته ، لكن لم يفقد طبيعته القوية .

لذلك وصفه الرسول بأنه «أسد زائر» (١ بط ٥ : ٨) . وهكذا نراه في سفر أيوب استطاع أن «يضربه بقرح ردىء من باطن قدمه إلى هامته» (أى ٢ : ٧) ، كما استطاع أن يثير ريحاً شديدة صدمت زوايا بيت أيوب ، فسقط على الغلمان فاتهموا (أى ١ : ١٩) ... وهناك دلائل روحية كثيرة على قوته ، منها :

إنه استطاع أن يضل العالم كله أيام الطوفان .

ولم تنج من ضلاله سوى أسرة واحدة هي أسرة أبينا نوح (تك ٦) . ورأى الله أن الحل الوحيد لتطهير الأرض من الفساد ، هو إبادة كل نفس حية على وجه الأرض .

ونفس الوضع نقوله عن مدينة سادوم .

فسم يمجّد الله فيها عشرة من الأبرار ، حتى يرحم المدينة من أجل العشرة (تك ١٨ : ٣٢) . ولم يوجد فيها سوى أسرة لوط فقط (أربعة أشخاص) . هلكت من بينهم امرأة

لوط خارج المدينة . وأخطأت البنتان بعد خروجهما من سادوم . ولوط نفسه قيل عنه حينئذ كان في سادوم إنه « كان بالنظر ولمسمع - وهو ساكن بينهم - يعذب يوماً فيوماً نفسه النار بالأفعال الأثيمة » (٢ بط ٨ : ٢) .

وقوة الشيطان تظهر في إلفائه العالم كله في الوثنية .

كيف استطاع أن يلقى العالم كله في الوثنية في العهد القديم ، ماعداً شعباً واحداً ؟! هذا أمر خطير . بل حتى هذا الشعب الواحد وقع في عبادة الأصنام هو أيضاً ، حينئذ كان موسى النبي على الجبل ، إذ صنعوا لأنفسهم عجلاً ذهبياً ، وقدموا له الذبائح . وقالوا « هذه آهتك يا إسرائيل التي أصدعتك من أرض مصر » (خر ٣٢ : ١-٦) .

وفي أيام ييذا النبي في عهد آخاب الملك ، كان في شعب الله ٤٥٠ نبياً للبعس ، و ٤٠٠ نبياً للسواري أي ثمانمائة وخمسون سياً كاذباً كانوا يأكلون على مائدة الملكة إيزابل (١ مل ١٨ : ١٩) . وحدث أن كثيراً من ملوك يهودا وإسرائيل وقعوا في عبادة الأصنام « وجعلوا إسرائيل يخطيء » كما تروى لنا أسفار الملوك وأخبار الأيام .

ومن قوة الشيطان إسقاطه لسليمان الحكيم في عبادة الأصنام .

سليمان حُكِمَ أهل الأرض ، لذي أخذ الحكمة من الله نفسه (١ مل ٣ : ١٢) ، الذي تراءى له الله مرتين (١ مل ٣ : ٥ ، ٩ : ٢) . يقول عنه الكتاب « وكان في زمان شيخوخة سليمان ، أن نساءه أمعن قلبه وراء آلهة أخرى ... فذهب سليمان وراء عشتاروت إلهة الصيدين ومكوم رجس العمونيين » (١ مل ١١ : ٤-٨) .
حقاً إنها المأساة عجيبة وخطيرة ، تريتنا مدى قوة الشيطان .

ومن دلائل قوة الشيطان ما سيفعله في آخر الأيام .

وذلك عندما « يُحس من سجنه » ، ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع رواب الأرض (رؤ ٢٠ : ٧) . بل يضل لو أمكن المختارين أيضاً عن صديق من يرسلهم من مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، يعطون آيات عظيمة وعجائب (متى ٢٤ : ٢٤) . ومن خطورة عمله العنيف في تلك الفترة لصعوبة قول الرب عنه :

ولولم تقصر تلك الأيام ، لم يخلص جسد » (متى ٢٤ : ٢٢) ، « ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام » . وفي تلك الأيام سيرسل الشيطان أيضاً من عنده ضد

المسيح، إنسان الخصلة المقاوم والمترفع على كل ما يدعى إلهاً «الذى مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة وبآيات وعجائب كادبه، وبكل حديعة الإثم في لهالكين» (٢ تس ١٠: ٢).

ومن نتائج قوة الشيطان هذه، يحدث الإرتداد العام.

وذلك قبيل مجيء المسيح (٢ تس ٢: ٣). وكسر شكر الله الذى سيفصر تلك الأيام الصعبة. وسيبيد هذا الأثيم (ضد لمسيح) بصفة فم، و يبطله بظهور مجيئه (٢ تس ٢: ٨) ... إلى هذا الحد وصلت قوة الشيطان.

ومن أمثلة قوة الشيطان أيضاً :

إنه استطاع أن يتكلم على فم رسول عظيم كطرس، فاستهره الرب قائلاً «إذهب عنى يا شيطان. أنت معثرة» (متى ١٦: ٢٢، ٢٣).

ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه غرل لإثني عشر رسولاً. وقد طلب الرب من أجل بطرس لكى لا يفنى إيمانه (لو ٢٢: ٣٢، ٣٣).

ومن أمثلة قوته أنه أسقط جبابة مثل داود وشمشون. وأهدك نبياً كبعدم، وضع تلميذاً من تلاميذ بولس كديس ... «وكل قتلاه أقويء» (١ م ٧: ٢٦). حقاً كما قال دود النبي «كيف سقط الجبابة، وبادت آلات الحرب» (٢ صم ١: ٢٧).

ومن أمثلة قوته أيضاً صرعه لأناس كثيرين.

هؤلاء الذين احتاجوا أن يخرج شيطان منهم، وقيل إنه كانت عليهم روح نجسة. وعنه قال الرب لتلاميذه «إخرجوا شياطين» (متى ١٠: ٨). وكان على واحد من المرضى فرقة من الشياطين «الجئون» (مر ٥: ٩). «ولم يقدر أحد أن يذته». وبعض هذه الشياطين لم يقدر تلاميذ الرب وقتذك على إخراجها. فقال لهم الرب «هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم» (مر ٩: ٢٩).

ولعله بسبب قوة الشيطان، قده الله ألف سنة.

«وطرحه في الهاوية، وأعنى عليه وحتم عليه، لكى لا يفض لأمة في م بعد، حتى تتم الألف سنة. وبعد ذلك لابد أن يُحل زماناً يسراً» (رؤ ٢٠: ٣، ٤).

وكن ليس معنى الحديث عن قوة الشيطان، أن تحفوا منه !! كلا.

فإن كان الشيطان قوياً ، فالله أقوى منه ...

وليس فقط أن الله أخضعه لنا ، بل إن كثيراً من الآباء قد غبوه ، وكان يخاف منهم .
وستحدث عن هذه النقطة في حينها بمشيئة الرب .

نقطة أخرى مهمة في صفات الشيطان كمحارب لنا ، وهى أنه :

٣ خبير بالعروب وبنا

تصورو الشيطان يحارب الإنسان منذ أكثر من سبعة آلاف سنة ، منذ آدم ... أية خبرة تكون له في حربه مع البشرية . لا شك أنه أقدر غنوق على فهم النفس البشرية وطريقة محاربتها . لقد درس النفس البشرية جيداً ، ويعرف نوحى القوة والضعف فيها . ويعرف الأسلوب الذى يمكنه أن يحاربها به .

أكبر عالم نفسانى ، وأكبر محلل نفسانى ، هو الشيطان ...

علم النفس عنده ، ليس مجرد نظريات ، إنما هو خبرات ، على المستوى العملى والعلمى أيضاً ، وبنطاق واسع جداً ، شمل البشرية كلها . لذلك هو يعرف متى يحارب ، وكيف يحارب ؟ ومتى ينتظر ؟ ومن أى الأبواب يدخل إلى الفكر أو إلى القلب ... ؟
من صفات الشيطان الأخرى التى تظهر في حروبه أنه :

٤ ذكى وصاحب حيلة

لقب الشيطان بأنه « الحية القديمة » (رؤ ٢٠ : ٢ ، ١٢ : ٩) . وقال الكتاب عن الحية إنها كانت « أحيل حيوانات البرية » (تك ٣ : ١) . إنه ذكى وحكيم فى الشر . وقد قال الكتاب « كونوا حكماء كالحيات » (متى ١٠ : ١٦) . وحكمة الشيطان كلها خبث ومكر وحيلة ...

ومن مظاهر ذكاء الشيطان أنه قد يغير خططه وأساليبه لتوافق الظروف . ومن حيله الصعبة : الكذب والخداع والأضاليل ، يسبها بطريقة ذكية لا يشعر بها الإنسان المحارب ، أو أنه يقدم الخطية فى أسلوب فضيلة ... الخ . ما أكثر حيل الشيطان . إننا سنفرد

لها فصلاً خاصاً في هذا الكتاب ، قد يكون الفصل الأساسي فيه .
ومن الصفات البارزة في حروب الشيطان أنه :

هـ كَذَاب

لقد كذب على أبونا آدم وحواء حينما قال لهما « لن تموتا » وكذلك في قوله لهما « تصيران مثل الله ... » (تك ٣ : ٤ ، ٥) . وصفة كذاب بارزة في الشيطان ، لذلك قال عنه السيد الرب إنه « كذاب وأبو الكذاب » (يو ٨ : ٤٤) . قال هذا لكي لا نصدق كل ما يقوله الشيطان ، ولا ننخدع به . وليس الكذب عند الشيطان هو فقط ما يقوله من كلمات ، وإنما هناك ما هو أخطر بكثير من كل هذا :

هناك من يرسلهم من أنبياء كذبة ومسحاء كذبة ...
ولقد حذرنا الرب من كل هؤلاء ، فقال « إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً » (متى ٢٤ : ٢٣ ، ٢٤) . وطبعاً سيعطون تلك الآيات والعجائب من الشيطان ، كما قيل عن انقاوم ضد المسيح « الذي يجيشه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة » (٢ تس ٢ : ٩) .

ومن أمثلة ذلك تكلم الشيطان من أفواه الأنبياء الكذبة :
قوله عن إغواء آخاب الملك ليهيك « أنا أغويه ... وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه » (١ مل ٢٢ : ٢٢) . فكما أن الروح القدس هو الناطق في أفواه الأنبياء القديسين ، كذلك الشيطان هو الناطق في أفواه الأنبياء الكذبة .

كذلك يعلن الشيطان كذبه في الأحلام والرؤى الكاذبة ...
وم أكثر الحروب التي تعرض لها الآباء الرهبان ، ووردت في بستان الرهبان ، عن هذه الأحلام والرؤى الكاذبة . ومن أمشتها ظهور الشيطان لأب راهب وقوله له « أنا الملاك غبريال ، أرسلني الرب إليك » فأجابه الراهب في تضاع « إنني إنسان خاطيء ، لا أستحق أن يظهر لي ملاك . فنعلك أرسلت إلى غيري وأخطأت الطريق » . وظهر كذب الشيطان ، فضى واختفى عنه .

أو كمثال آخر قصة الشيطان الذى ظهر لراهب وقال له «أنا المسيح، فاسجد لى». فقال الراهب فى قلبه «أنا فى كل يوم أسجد لسيدى المسيح. فلماذا يطلب هذا منى السجود». وهكذا كُتِفَ حصة وكذب الشيطان، وانتهره قصى.

وما أكثر الأحلام الكاذبة التى يضل بها الناس ظانين أنها من الله! وقد قال القديس بولس الرسول عن ارؤى الكاذبة لى من اشيطان:

«لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور» (٢ كو ١١: ١٤).

وفى قصة الأنبا غاليون لسائح ظهرت له الشياطين بهيئة آباء سوح يريدون ضمه إليهم. ولم يكتشف أنهم شياطين، إلا بعد أن تأهوه فى البرية، ثم سخروا به وتركوه هارثين به، إلا أن رحمة الرب أدركته من أحس بسكته، وبسطة قلبه، وماضى نعبه...

وكذب الشيطان يظهر أيضاً فى أقوال السحرة والعرافين وأمثالهم.

ولذلك أوصى الرب قائلاً «لا تتعم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. لا يوجد فى من يجيز إبنه أو إبنته فى النار، ولا من يعرف عرفة... ولا ساحر، ولا من يرقى رقية، ولا من يسأل جاناً أو تابعة، ولا من يستشير الموتى. لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب. وبسبب هذه الأرجاس، لرب إلهك طاردهم من أمامك» (تث ١٨: ٩-١٢). ولعل هذه الآلة تكشف لنا شيئاً آخر هو:

كذب الشيطان فى استشارة الموتى، أو فى (تخصير الأرواح).

فقد ينطق فى أمثال هذه الجلسات، مدعياً أنه روح فلان من الناس. ويقول للحاضر ين بعض معلومات تخدعهم مما يعرفه عن أخبار ذلك الشخص أو أسرته. فإذا صدقوه، يبدأ بالتدريج يقول لهم ما يرضيهم... وكل هذا من كذب ودعاء لشيطان ليضل لناس...

ولعل من كذبه أيضاً، ما يقوله على أفواه المنجمين ومدعى معرفة الغيب...

سواء عن طريق التنجيم، أو قراءة الكف، أو ضرب لرمل، أو قراءة فنجان القهوة، ومعرفة البخت والطالع بأنواع وطرق شتى...

وواضح لاهوتياً أنه لا يعرف الغيب سوى الله وحده. فمن يدعى معرفة الغيب، لا يكون صادقاً فيما يدعيه...

وإغراءات الشيطان كلها ألوان من الكذب ...

حيث يصور للإنسان سعادة تأتيه من وراء الخطيئة ، سواء في لذة أو سطة أو مكسب أو جاه أو مجد... وبعد أن يسقط الشخص يجد أن كل إغراءات الشيطان هي سراب زائل ، وأنها أشياء زائفة ، كما صور لحواء وآدم أنها سيصيران مثل الله... وكما صور لسليمان أنه سيسعد بكثرة ألوان المتعة والترف التي تحيط به ، فوجد أن الكل باطل وقبض الريح (ج ٢) .

ولكن هذا أسلوب الشيطان دائماً ، يزخرف طريق الخطيئة ، ويضفي عليه أوصافاً من الجمال تغري من يسقط في حوائثه . وتكون كل زخارفه أكاذيب يخفى بها بشاعة الخطيئة ونتائجها السيئة ...

أيضاً أحلام اليقظة التي يقدمها لضحاياه ، كلها أكاذيب ...

ولكنه يقدمها لهم كنوع من اللذة تخدرهم عن العمل الإيجابي النافع ، فيعيشون بهذه الأحلام في خيال غير واقعي ، يبنون قصوراً من رمال ، وأبجاء وأفراحاً ومتعاً . ثم يستيقظون فلا يجدون شيئاً . ويكون الشيطان بهذا الكذب قد أضاع وقتهم ، وعطلهم عن العمل المجدى ، وأراحهم راحة كاذبة .

ومن أكاذيب الشيطان إيهامه المنتحر أن الموت سيرجحه من متاعبه .

ويظل يركز على هذه النقطة : إنه لا فائدة من هذه الحياة ، ولا حل لمشاكله . والحل الوحيد هو الموت ، حيث يتخلص من كل تعبه ويسترىح . وإد يصدفه المنتحر ويقتل نفسه ، لا يجد هذه الراحة ، بل يجد نفسه في الجحيم ، في تعب وألم لا نجاة منه ، ولا تقاس به كل متاعب الدنيا . ويجد أن الموت ليس هو نهاية حياته المتعبة ، بل هو بداية حياة أكثر تعباً . ويكون الشيطان بهذا الكذب قد خدعه وضله وأضاعه ...

وتقريباً غالبية الخطايا ، يضع الشيطان وراءها أكذوبة من أكاذيبه .

فهو يوحى للسارق بأن لا أحد سوف يرى أو يكتشف سرقة ، وكذلك يوحى للمهرب والمرتشى وللغشاش . والشيطان في كل هذا يكذب ، لأنه حتى إن لم ير البشر ، فأنه يرى وكل شيء مكتشف أمامه . وهو يوحى للقاتل بأن المقتول يستحق القتل ، وحياته خطأ يجب تصحيحه ، أو أن القتل غسل للعار الذي يدوثر شرفه ، أو أن قتله يريح نفس قريب له قد مات ...

بل لعل الإلحاد هو أكبر أكذوبة قدمها الشيطان للشريعة . وقد كذب على الوجوديين حينما صور لهم أن وجود الله يعطل وجودهم ، كما كذب على الماركسيين إذ صور لهم أن الله يعيش في برج عاج ولا يهتم بالمجتمع الإنساني ، بل يترك فيه الظالم يظلم ، والغنى يستعبد الفقير...!!
من صفات الشيطان أيضاً في حروبه أنه :

٦ ملحوظ

أى أنه كثير الإلحاح جداً ، لا يمل . وربما الفكر الواحد يظل يعرضه مرات ومرات .
ومهما رفضه الناس ، يستمر أيضاً في عرضه .

ربما من كثرة الضغط المستمر والإلحاح ، يستسلم الإنسان له وتخضع .
لقد قيل في بستان الرهبان إن الشيطان ظل يحارب راهباً بخطية واحدة مدى خمسين عاماً ، لا يبدأ ، ولا ييأس ، ولا يمل...

وحتى في حربه مع السيد المسيح ، لم يبدأ بعد فشله في التجربة الأولى والثانية والثالثة . ولما انتهز الرب ومضى قال القديس لوقا الإنجيلي عن ذلك « ولما أكمل إبليس كل تجربة ، فارقه إلى حين » (لوقا : ١٣) . وعبارة « إلى حين » تعنى أنه رجع إلى تجربته مرة أخرى أو مراراً عديدة .

الشيطان لا ييأس من الفشل أبداً ، ولا يتجمل ، بل يعود !
لما فشل في التجربة الأولى مع أيوب ، رجع مرة أخرى يطلب تجربته بأسلوب أصعب ... ولما فشل مع السيد المسيح في كل التجارب ، أتاه وهو على أصيب يقول له « إن كنت ابن الله ، إنزل من على الصليب » (متى ٢٧ : ٤٠) .

والشيطان في إلحاحه على إسقاط الناس لا يعترف بعقبات .
لا يهيمه أن آدم وحواء خلقا على صورة الله ومثاله (تك ١) .
ولا يهيمه أن داود مسيح الرب ، ولا أن سليمان هو أحكم أهل الأرض كلها ، ولا أن بطرس رسول متحمس جداً للمسيح . ولا يهيمه أن يهوشع هو الكاهن العظيم (زك ٣) ، ولا أن هارون هو رئيس الكهنة (خر ٣٢) . ولا أن شمشون هو نذير الرب « وأن روح الرب

يحركه» (فص ١٣) ... لا يهيمه مراكز الناس ولا روحياتهم ... بل يضرب ضربته ،
وليحدث بعد ذلك ما يحدث ... إن كان قد تجرأ أن يجرب المسيح له المجد ، فهل يهتم
بالبشر؟!

إنه يلقى سموه كل حين على كل أحد . وربما الذى لا يهلك بها اليوم ، قد يهلك
بها غداً ، أو بعد سنة ، أو بعد عشرين ... !
إن الشيطان ماثراً ، نشيط ، لحوح ، دائب على العمل ، لا يشبط الفشل همته . ولا
يأس من علوقد الناس فى الروحيات . هو ماض فى خطته لتحطيم الملكوت ، ولكى يفضل
حقى المختارين أيضاً ... واذى لا يستطيع أن يدنس جسده ، فعلى الأقل يدنس فكره .
والذى لا يقبل طعنه فى روحياته ، على الأقل يلطمه بشوكة فى الجسد (٢ كو ١٢ : ٧) .
وإن لم يستطع أن يسقط أولاد الله ، فعلى الأقل يشتكى عليهم . لذلك قيل إنه :

٧ المشتكى

وقد قال عنه سفر الرؤيا إنه « المشتكى على أخوتنا ، الذى كان يشتكى عليهم أمام
إلهنا نهاراً وليلاً » (رؤ ١٢ : ١٠) .

إنه يشتكى على القديسين ، مدعياً أنه لم يأخذ فرصته لمحاربتهم !
... أو أن فرصته التى أخذها قبلاً ، لم تكن كافية !

وقد وقف فى القديم يشتكى على أيوب أمام الله ، مدعياً أنه لم يأخذ فرصة لمحاربتة .
وقال لله « أليس إنك سيجت حوله ... باركت أعمال يديه . ولكن إبسط الآن يدك ومس
كل ماله ، فإنه فى وجهك يجدف عليك » (أى ١ : ١٠ ، ١١) .

ومع أن الله واجه الشيطان بقسوته وظلمه فى شكواه ، وقال له عن أيوب « إلى الآن هو
مؤمنك بكأله . وقد هيجتنى عليه لأبتلعه بلا سبب » (أى ٢ : ٣) ، إلا أن الشيطان
استمر فى شكواه للمرة الثانية ، وطلب فرصة أوسع ، وأخذ سماحاً لضرب أيوب فى جسده
بفرج ردىء (أى ٢ : ٧) ...

عجيب أن الشيطان يفعل كل ما يريد ، ويظل يشكو !
وهو يشكو على الرغم من مواهبه العديدة ، فهو :

إنه كثير القدرات إلى حد بعيد . يعرف أشياء كثيرة و يتقنها .
فالمواهب التي منحت له وهو ملاك ، لم يسحبها الله منه ...

معرفته واسعة جداً في كل مجال . حتى آيات الكتاب المقدس ، يعرفها جيداً ويحارب بها ، وكأنه من اللاهوتيين . وفي التجربة على الجبل ، استخدم الكتاب المقدس بطريقته الخاصة (متى ٤ : ٦) . بل إنه هو صاحب جميع البدع والمرتقات ، وهو الذي وضع أفكارها في أذهان الهرطقة ، وقدم لهم مفاهيم خاطئة لآيات الكتاب . وصدق القديس أثناسيوس الرسولي حينما قال : إن عدونا ليس هو الأريوسيين ، إنما هو الشيطان .

والشيطان يعرف الشعر . بل إن كثيراً من الشعراء يتحدثون عن شيطان الشعر ، وأنه ملهمهم أفكارهم ... لذلك ليس غريباً إن قل أحد علماء الأرواح ، إنه استحضّر روح شاعر مشهور وسمع منه قصيدة بنفس أسلوبه ... بيس غريباً أن يكون الشيطان قد تدخل وأملى الوسيط شعراً بنفس الأسلوب !

والشيطان يعرف الموسيقى والفن والنحت والرسم والأغاني .

ويمكنه أن يلهم لمشتغلين بالملاهي كل ما يحتاجونه في فنونهم لإغراء الناس وإسقاطهم ، أو إبعادهم بها عن عملهم الروحي .

والشيطان من علماء النفس البارزين ، بل هو في مقدمتهم جميعاً ، بسبب خبرته العميقة . وهذه الخبرة تساعد في حروبه . كما أن حروبه أيضاً تريد من خبرته ومن علمه . وكما أنه من علماء النفس ، هو أيضاً من علماء الأرواح ، لأنه روح . يعرف ما للروح أكثر مما يعرف البشر .

غير أن علم الشيطان يسير وفق أغراضه .

فالعلم الخالص شيء ، واستخدام هذا العلم لتحقيق غرض هو شيء آخر . وغرض الشيطان معروف وهو مقاومة الله ومكوثه . لذلك هو يستخدم كل معرفه لتحقيق هذا الهدف الشيطاني .

ومن صفات الشيطان في حروبه مع الإنسان ، أنه :

إنه يعمل بكل قسوة ، بلا رحمة . وقسوته واضحة جداً في قصة أيوب الصديق . كما أنه جرّ كثيرين إلى الهلاك وأضعهم ، كالذين هلكوا بالطوفان ، وبنار سادوم ، والذين ابتلعهم الأرض أحياء (عد ١٦) .

وقسوته واضحة في الذين يصرعهم ، ويصحون في حالة حنون بسببه . ومثال ذلك مجنون كورة الحدريين الذي « كان فيه شياطين ... وكان لا يلبس ثوباً ، ولا يقيم في بيت بل في القبور ... وقد ربط بسلاسل وقيود محروساً . وكان يقطع الربط ويساق من الشيطان إلى البراري » (لو ٨ : ٢٦ - ٢٩) ، « وكان يصيح ويجرح نفسه بالحجارة » (مر ٥ : ٥) . وأمثه هذا المصروع كثيرون ...

وتظهر قسوته كذلك في محارباته للقديسين ، وفي المناظر المخيفة .

ففي حربه مع اقدس أنطونيوس الكبير كان يظهر له في مناظر مفزعة جداً ، وأحياناً في هيئة وحوش مخيفة تصيح حوله بأصوات مرعبة . وفي إحدى المرات ضرب القديس بضربات شديدة مؤلمة للغاية ، وتركه بين حي وميت ... والذي يقرأ سيرة القديس قرياقوس السائح ، يجد أمثلة أخرى تشبه هذا النوع أو أشد ...

وهو فاس فيما يبثره على العالم من حروب وويلات وجرائم .

ومعروف جداً نتائج كل هذه ... ولكن الشيطان يفرح بكل ويلات العالم ، ويحسب ذلك انتصاراً له ، إلى جوار تحطيمه للنفوس وللعقول ، وبثه للخصومات وأسباب الإنشقاق والتمزق . فهو عامل تخريب لا يهدأ ، بكل عنف . وهو سعيد بتخريبه .

صدقوني ، إننا لو قرأنا عن قسوة الشيطان في حروبه المفزعة للقديسين ، نقول عن أنفسنا إننا لم نحارب أبداً من الشيطان . فحروبنا لحالية شيء تافه إلى جوار حروبهم ... والمعجب أنه في كل قسوة الشيطان ، يتظاهر بالمطف أحياناً ، ولكنه :

١٠. خبيث في تظاهره بالمعصفت

عبارات المعطف عنده وسيلة مأكرة لإسقاط لناس ...

فهو (يعطف) عليك حينما تصوم ، ويدعوك إلى الأكل ، من أجل صحتك ! محذراً إياك من لمرض ومن الضعف ! ويقول لك إحذر من أن تقتل جسدك ، فهو وزنة تمجد بها الله . وقد قال الرسول « إنه لم ييغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه » (أف : ٥ : ٢٩) .

وهو يعطف عليك حينما تنشط روحياً ، وتسهر في الصلاة والقراءة والمطانيات ، ويدعوك في عطف إلى النوم من أجل راحتك .

وهو (عطوف) يخشى عليك من (التطرف) فيدعوك إلى الإقلاص من الجهاد . وفي عمق عملك الروحي ، يقول لك : لا داعي لكل هذا ، فإن الآباء يعلموننا أن الطريق لوسطى خلصت كثيرين ... وهكذا يقول لك : إحترس من التطرف ، لئلا الشيطان يضربك ضربة يمين وهي أقسى ، ولئلا تقع في المجد الباطل وهو شر الرذائل كلها . بل يقول لك : لا شك أن تطرّفك هذا في الجهاد هو من عمل الشيطان ، وهو لا يقصد بك خيراً ! فاستمع لقول الكتاب « لا تكن باراً بزيادة ... لماذا تخرب نفسك ؟ » (جا ١٦ : ٧) .

والشيطان (العطوف) يشفق عليك من البكاء على خطاياك ... يقول لك : لماذا تبكي ونحياً في الكتابة . ليس هذا هو طريق الله ... أليس أن خطاياك قد عُفرت ، ومحاها الرب بدمه ؟ لماذا تبكي عليها إذن ؟ أتريد أن تضل في لبكاء حتى تتلف أعصابك ونفسيّتك ، وحتى تنكشف أمام الناس ؟ أليس أن الكتاب يقول « إفرحوا في الرب كل حين » (في ٤ : ٤) ... ويظل بك حتى تفقد إنسحاق القلب ، وتفقد دموع التوبة ، وتعتز حرارتك ... وإذ تفعل هذا ، تسهل عليك الخطية وربما تعود إليها . وطبعاً ينسبك قول الكتاب « بكآبة الوجه يصلح القلب » (جا ٧ : ٣) .

والشيطان (العطوف) يبرر لك أخطائك ، حتى لا يتعبك ضميرك . إنه يمنع عنك التبكيت ، حرصاً على مشاعرك ! وإشفاقاً عليك من الحزن ومن اليأس ! ولذلك في كل أخطائك يقدم لك العديد من الأعذار ومن التبريرات ، وينصحك قائلاً : لا تقل على كل شيء إنه خطأ ، ولا تبالي في تبكيت نفسك ، لئلا يقودك هذا إلى الوسوسة حقاً إن هذا خطأ ، ولكنك لم تكن تقصد ، ونيتك طيبة ، وهي تشفع لك . والله ينظر إلى النيات ... وهذا خطأ ، ولكن ماذا كان بإمكانك أن تفعل ؟! الظروف

كانت ضاغطة . وصدقني لو أنا في موضعك ما كنت أستطيع أن أفعل غير هذا .
والله لا يطلب منك فوق طاقتك . لذلك لا تكتئب ...

وتبترير أخطائك ، تجعل ضميرك واسعاً يبلغ الجمل ، ويبعدك عن التوبة وعن
الحرص والتدقيق ، وعن الأمانة في القليل ...

إن (العطف) عند الشيطان ليس حباً ، إنما وسيلة للإسقاط . فاحترس منه ، ولا
تسمع له . وكز حازماً مع نفسك . واسلك بتدقيق ... وتأكد أن الشيطان في كل
حروبه معك يكون غير مخلص . كل نصائحه غير مخلصه ، حتى لو كانت بمظهر الخير .
إنه لا يريد سوى ضياعك .

من صفات الشيطان أيضاً أنه حسود .



قلبه لا يستريح مطلقاً أن يرى إنساناً ناجحاً ، أو إنساناً باراً ، فيعمل كل ما
يستطيعه لإسقاط هذا وذاك .

وفي حسده يضرب ضرباته بلا رحمة ...

لقد حسد يوسف الصديق على ما رآه من رؤى ، فنقل الحسد إلى قلوب أخوة
يوسف حتى باعوه كعبد . ثم حسده على نجاحه وثقة فوطيفار به ، فدبر له حيلة ألقاه بها
في السجن كفاعل إثم ...

وحسد العالم على إيمانه بالله ، فألقاه في الوثنية ، وفي تعدد الآلهة وفي الإلحاد . ودبر
لذلك كل صنوف الفكر والفلسفة ، وأيضاً العبادات البهائية . وصدق المزمر حيناً قال
« لأن كل آلهة الأمم شياطين » (مز ٩٦ : ٥) .

والشيطان يحسد المعرفة والحكمة ، ويحسد العفة ، ويحسد الإلتضاع ...

لذلك فهو ينشر في العالم الجهل والزنا والكبرياء ، بكل ما عنده من حق . لقد
حوّل سيمان عن حكمته وأسقطه . وألقى في العالم كثيراً من المعارف الخاطئة ، حتى
« قال الجاهل في قلبه ليس إله » (مز ١٤ : ١) . وأصبح الرنا من الحروب الخطيرة

التي تحارب العالم كله . كما صارت الكبرياء حرباً يقع فيها من لم يقع في باقي الخطايا ومن يقع فيها أيضاً .

إن حسد الشيطان هو حسد مدقّر ، وليس مجرد مشاعر . فهو إذ يحسد ، يضرب بكل قوة . كما حسد أيوب على كماله ، فضربه بكل قسوة ، واشتكاه أمام الله . وكما حسد سكان البراري على زهدهم ونسكهم فأثار ضدهم أعنف الحروب . وكما حسد أوريجانوس أعلم أهل عصره وأستاذ اللاهوت الأول في عصره ، فألقاه في كثير من البدع حرمة من أجلها الكنيسة ، حتى قيل عنه «أيها البرج العالي ، كيف سقطت؟!» ...

لذلك في كل ما تعمله من بر ، توقع حسد الشياطين . وتوقع أنهم لا يبقونك مطلقاً في برك ، بل يحاولون إسقاطك بشقي السبل . فإن ضربوك ضربة في يوم روحى عميق ، لا تيأس بل قل : هذا ما كنت أتوقعه . ولكنى أطلب من رحمة الله أن تعيننى حتى لا أسقط ثانية .

وإن منحك الله موهبة ، فتوقع أيضاً حسد الشياطين . فهم إما أن يحاولوا إسقاطك في الكبرياء ، أو استخدام الموهبة في غير موضعها . وهذا يكونون قد أضاعوا هدفها الروحى ونفعها لك ولغيرك ... من صفات الشيطان الأخرى أنه :

١٢ نهاز للمكرس

الشيطان يحاول أن يستغل الفرص ، يلقى فيها تجاربه . كما استغل جوع السيد المسيح بعد صوم أربعين يوماً ، لكي يجربه بتجربة الخبز . وكما انتهر فرصة خوف بطرس ليلقيته في إنكار المسيح . وانتهر أيضاً فرصة تمسك اليهود بالسبت ليجعلهم ينكرون معجزات المسيح لم يعملها أحد من قبل ، بل يتهمون بالخطية (يو ٩ ، ١١) . من صفات الشيطان أيضاً أنه :

قلنا قبلاً إن الشيطان قد يأخذ موقف الشفوق على صحتك ، سواء من جهة الصوم أو السهر، أو تعب جسد جمه . وينصحك في ذلك بالراحة الجسدية ، حرصاً على سلامة صحتك ... !

ولكنه ليس أميناً حقاً من جهة إهتمامه بصحة جسدك . إنه ينصحك بالراحة ، ويمنعك من السهر ، إن كان سهرك في الصلاة أو التأمل ، أو القراءة الروحية ، أو في ليالي الصلاة . ولكنك إن سهرت في ليل أو في وسائل لترفيه متنوعة ، فلا يحدث عن مضار السهر خوفاً على صحتك !

وإن تعبت في أمور العالم الباطلة ، لا ينصحك بالراحة ... إن تعبت في جمع مال ، وفي الجري وراء السهر والجاه ، وفي السعى وراء ملاذك ومتعك ، وفي تنظيم الحفلات الصاخبة ، وفي اللعب والرياضة ، وفي كافة الأنشطة العالية ... كل هذا لا يثير إشفاقه عليك ، ولا يدعوك فيه إلى الراحة ... ! إنما ينصحك بالراحة ، إن كان تعبك في أى عمل روحي . جهادك الروحي فقط هو الذى يثير إشفاقه عليك وعلى صحتك ؟

لذلك إن دعاك إلى الراحة وقت جهادك الروحي ، فلا تطعه . إنها في حقيقتها دعوة منه إلى الكسل والتراخي ... أما أولاد الله ، فكانوا يفرحون بالتعب ، س و يفتخرون به (١ كو ١٥ : ١٠) . وكما قال القديس بولس الرسول « في الأتعاب أكثر... في تعب وكد . في أسفار مراراً كثيرة » (٢ كو ١١ : ٢٣ ، ٢٧) . وقال أيضاً « كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعب » (١ كو ٣ : ٨) . إن عرفت هذا ، إتعب من أجل الله ، على قدر طاقتك .

واعلم أن نصيحة الشيطان لك بالراحة ، نصيحة غير مخلصه ، وغير أمينة ، وغير صادقة . لقد تعب القديس الأنبا بولا الطموهى في السك ، إلى أن ظهر له ربنا يسوع المسيح وقال له « كفك تعباً يا حبيبى بولا » . فرد عليه القديس « وماذا يكون تعبى هذا ، إلى جوار كل تعبك يارب لأجل خلاص ! » .

خير لك أن تتعب ههنا على الأرض ، لتنال أكاليل الجهاد .
من أن تستريح ههنا على الأرض ، وتتعب هناك في الأبدية ...
واعلم أن تعبك هنا ليس منسياً أمام الله ، لأنه « ليس بظالم حتى ينسى تعب
الحبة » (عب ٦ : ١٠) . وكل تعب تتعبه ههنا ، مكنوز لك هناك في الأبدية .
ليس ههنا مكان الراحة . إنما هنا مكان الجهاد والتعب .
لذلك حينما يموت إنسان ، يقولون إنه تنجح أى استراح ...
فالشيطان ليس أميناً في دعوتك إلى الراحة . إنه يخدعك ...

إنه يحدثك عن الصحة وقت النسك ، وليس وقت الفساد !
إن صمت ، يمس الشيطان ملابس الأطباء ، ويلقى محاضرة مستفيضة عن أهمية
البروتين الحيواني والأحماض الأمينية الأساسية . ويظهر إهتمامه بجسدك وسلامته .
ولكنه لا يتحدث عن سلامة جسدك إذا داومت على التدخين أو المسكرات ، أو
الشهوات الشبابية الضارة بالصحة . إنه ليس مخلصاً في دعوتك إلى الصحة .
لذلك إن حاربك براحة الجسد وصحته ، قل : ليس هذا وقته .
إن كانت حرب الراحة من الشيطان ، فإن حرب الكسل أشد .
إن كنت تتعب بالجسد ، نشعر براحة نفسية . والعكس صحيح .
حينما نكمل واجباتنا نشعر براحة وفرح ، مهما تعبنا بالجسد . وانتصارنا على جسدنا
في الصوم والسهر والمطانيات والعفة ، يعطينا راحة لا توصف .

الفصل الثالث

جميل الشيباني

« نجنا من حيل المضاد ... » ،

« وأبطل سائر فخاخه المنصوبة لنا » .

(تحليل صلاة الغروب)

ما أكثر حيل الشياطين ! إنها لا تنتهى . إن لم تصلح حيلة منها ، يستبدلها بغيرها ، وبثانية وثالثة ... إلى أن يصل إلى غرضه . وليست هناك خطة واحدة أمامه لتوصله . بل هو يتخذ لكل وضع ما يراه مناسباً ، دون أن يتقيد بشيء ...
على أنه من أشهر خططه الواضحة المتكررة ، بضعة أساليب صارت معروفة وعغوفة ، نذكر من بينها ما يأتى ...

١ خطية تلبس ثوب الفضيلة

ما أسهل أن يقدم لك الشيطان بعض الخطايا بأساء غير أسمائها ، بأسلوب سهل قبوله . بحيث تلبس الخطايا ثياب فضائل ...
وكما قال السيد الرب « يأتونكم فى ثياب الحملان وهم ذئاب خايفة » (متى ١٥ : ٧) .

فالتهمك على الناس والإستهزاء بهم ، يقدمه على اعتبار أنه لطف وظرف ، ومجبة ودالة ، وخفة روح ، ومحاولة للترفيه ... !
والدهاء يسميه باسم الذكاء ... !
ويقدم لك القسوة فى معاملة أولادك أو إخوتك الصغار ، باسم التأديب والتربية والتقويم . ويجعل ضميرك يوبخك إن لم تؤدبهم .
والتزين غير اللائق والتبرج ، يقدمهما لك باسم الأناقة والنظافة .
إن الشيطان لا يقدم الخطية مكشوفة ، لئلا يرفضها الإنسان . بل يقدمها باسم آخر ، وهى هى ، ولا فارق ...
يقول إننى سأدخل مع (فلان) فى حرب مسميات ، وأسقطه فيما أريد ، ربما دون أن يشعر ... أو قد يشعر ولكن ضميره لا يكتبه .

لو أنني قسمت له الرياء بهذا الاسم المنفر ، فلن يقبله . إذن ماذا أفعل ؟ سأجعله مثل القصور المبيضة من الخارج (متى ٢٣) ، بحيث يكون في الداخل شيئاً ، وفي مظهره الخارجى عكس ذلك تماماً . ولكننى سأدعو ارياء بسم مقول : أسميه عدم إعتار الآخرين ، أو أسميه القدوة الحسنة .

ليس من (الحكمة) أن يسمى الشيطان الخطية خطية ، فيكشف حينئذ أوراقه ، ولا يصل إلى هدفه !

يقول السيد الرب في حديثه مع تلاميذه :

تأتى ساعة ... يظن فيها كل من يقتلكم ، أنه يقدم خدمة (قرباناً) لله !! (يو ١٩: ٢) .

ويقيناً أن الشيطان قدم خطية القتل إلى هؤلاء ، باسم « الغيرة المقدسة » أو « الدفاع عن الدين » أو « الجهاد المقدس » أو « تطهير الأرض من الخطاة » . وربما كان هذا هو شعور الكتبة والفريسيين وشيوخ الشعب ، في تقديمهم السيد المسيح للصلب .

إن الذين انتهروا الأطفال ومنعواهم من الذهاب إلى المسيح (لو ١٨ : ١٥) ، ما كانت هذه قسوة في نظرهم ، أو عدم اهتمام بالصغار . إنما لبس هذا التصرف ثياب الحملان ، وتسمى باسم فضيلة ، ربما إسمها « حفظ النظام » أو « حفظ كرامة المعلم الصالح » .

والكذب يمكن أن يقدمه الشيطان تحت إسم « الحكمة » ! يقدمه كنوع من حسن التصرف ، أو إنقاذ المواقف . والطبيب قد يكذب على المريض مرات عديدة ، ويسميا أمام ضميره « حفظ معنويات المريض » ، وحمايته من الإنهيار ، لكي يشفى .

والبعض يسمى بعض أنواع الكذب باسم « الكذب الأبيض » . وربما يسميه في أول أبرين باسم : الدعاية أو الفكاهة والتندر ، أو أى إسم مشابه .

وهذا الشكل ، ما أسهل على الشيطان أن يسمى الرقص فناً !

ويسمى الصور العارية والماجة فناً أيضاً . وكذلك التماثيل التي من نفس النوع . ويدخل تحت هذا الإسم كل ما في السينما والمسرح من التمثيل مهما كان خاطئاً ... وكل

ما فى الغناء والموسيقى ، مهما كان معثراً أو مشيراً ...

وتحت إسم الفن يخفى الشيطان مجموعة كبيرة من الخطايا والعثرات ، لا تستحق
هذا الإسم الجميل !

إلباس الخطيئة ثوب الفضيلة ، هو حيلة مأكرة من حيل الشيطان .

أترأه يدعو البخل بخلاً ؟! ما كان أحد إذن يقبله . إنما الشيطان قد يسميه
« حسن تدبير للمال » و « حفظ المال لحاجة لمستقبل » أو يسميه « عدم التبذير » أو
« عدم الإسراف » . وإذا أراد الشيطان أن يمنع غنياً من أن يدفع للفقراء ، يقول له :
ليس من الخير أن تعودهم الشحاذة ، أو أن تعودهم التشرد والتواكل . إن عدم عطائهم
هو حكمة ، وعين الحكمة ، لكى ييخنوا عن عمل ، ولكى يأكلوا من عرق جبينهم حسب
وصية الرب الإله (تك ٣ : ١٩) .

إعطاء الخطيئة إسم فضيلة ، يجعل الناس يستمرون فيها ...

فليس فقط من جهة الماضى ، لا يتبكت الإنسان من ضميره . وإنما أيضاً من جهة
استقبال يستمر الخاطئ فيها هو فيه ، بهذا الخداع من الشيطان .

أترأه كان يطلق إسم هرطقة على أفكار أريوس ومقدونيوس وسابيليوس
وأمثالهم ؟!

كلا . بن كان يقنعهم أن هرطقاتهم هى الدفاع عن الإيمان السليم !! وكان
يزودهم بالتفسير الخاطئ لآيات الكتاب ، لكى نقبلوا أفكاره ، ولكى يقنعوا أيضاً
غيرهم بها ...

إحترس إذن من المسميات الخاطئة . ولا تسمح للشيطان بأن يخدعك . فإن
الخطيئة هى الخطيئة مهما اختفت وراء إسم آخر ...

كذلك إحترس من حرب أخرى بلجأ إليها الشيطان ، وهى :

٢ تعطيم فضيلة لاكتساب غيرها

إن الشيطان يتضايق من فضائلك الثابتة التى صارت وكأنها من طبيعتك . لذلك
يحاول أن يحطمها بكل حيلة . وليس أسهل من أن يقدم لك فضيلة أخرى جديدة ، إن

لم تسلك فيها بإفراز- لقلّة الخبرة- تضعف الفضيلة الأولى الثابتة . ومثال ذلك :

أ - إنسان يحيا في وداعة وهدوء وسكون وسلام قلبي ودماثة خلق ...

يريد الشيطان أن يفقده كل ما فيه من رقة ، ومن كلمة طيبة ، ومن تواضع قلب .
فإذا يفعل ؟ إنه لا يستطيع طبعاً أن يدم له الوداعة ، أو أن يقول له : أترك طبعك هذا
المحبوب من الكل ... ولكنه يصل إلى ذلك عن طريق الإحلال ... يقدم له فضيلة بديلة ،
دون أن يقول له إنها بديلة ... وكيف ؟

يشرح له أولاً أهمية الآية القائلة « غيرة بيتك أكلتني » .

وكيف أن داود المشهور بالوداعة (مز ١٣٢ : ١) هو الذي قالها . وكيف أن
التلاميذ تذكروها حينما صنع السيد المسيح الوديع « سوطاً من حبال ، وطرده الباعة من
الميكال ، وطرده الغنم والبقر ، وكتب دراهم الصيارف وقلب موائدهم » (يو ٢ : ١٥ ،
١٧) . وقال لهم مكتوب : بيتي بيت الصلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص »
(متى ٢١ : ١٣) .

ويدعوه إلى محاربة الأخطاء ، ويزوده بكل الآيات اللازمة .

يقول له إن السيد المسيح وبخ الكتبة والفريسيين بشدة ، وقال لهم في أصحاب
كامل « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون » (متى ٢٣) ، وواجههم بكل
أخطائهم . وقال لهم « أيها لقادة العميان » أكثر من مرة . وقال لهم « إنكم تشبهون
القبور المبيضة من الخارج » . وقال « هوذا يبسكم يترك لكم خراباً » (متى ٢٣ :
٣٨) . ويوحنا المعمدان قال موبخاً قادة اليهود في أيامه « يا أولاد الأفاعي . من
أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ... » (متى ٣ : ٧) .
ثم يقول له : إسمع قول القديس بولس الرسول . إنه أمر :
بأمرك قائلاً « وبخ . إنتهر . عظ » (٢ تي ٤ : ٢) .

ولا يكفل له الآية « بكل أناة وتعليم » . ولا يقول له إنها موجهة إلى القديس
تيموثاوس الأسقف (أسقف أفسس) ، وليس لكل أحد . ولا يشرح له كيف كان
القديس بولس نفسه يوبخ . وكيف قال لكهنة أفسس « ... لم أفتر أن أنذر بدموع كل
أحد » (أع ٢٠ : ١٧ ، ٣١) .. وهكذا يبح عليه أن يوبخ وينتهر ...

كأنه المسيح أو الممعدان ، أو القديس بولس ، أو تيموثاوس الأسقف .

ويقتنع هذا « الفصحى » المسكين . ويظل يوبخ الكل ، وهو لا يعرف الطريقة الروحية للتوبيخ . ولا من يوبخ من ؟ ولا بأى سلطان يفعل هو هذا ؟ وفى توبيخه يقع فى إدانة الآخرين ، وفى الغضب ، وفى القسوة ، وفى التشهير ، وتسود صور الناس فى نظره ، وربما بهذا الأسلوب يبعد الكثيرين عن الكنيسة ... ويتحول إلى قنبلة متفجرة ، تقذف شظاياها فى كل اتجاه ... !

وهكذا يفقد وداعته ورقته ودمايته ، ويكره الناس ويكرهونه . ثم ما يلبث أن يتعب من هذا الأسلوب الذى لا يتفق مع طباعه ، ويعاود أن يعود إلى حاله الأول . ولكنه لا يجد قلبه نفس القلب ، ولا فكره نفس الفكر . بل يرى أنه قد فقد ساططه ونقاوة قلبه وفكره ، كما فقد حسن علاقاته مع الآخرين ، وفقد أمثولته لصالحه التى كان يستفيد بها غيره .

لقد أطمعه الشيطان فى فضيلة لا يعرفها ، وأفقده فضيلته الأولى .

فما احتفظ بالأولى ، وما كسب الثانية . وصار فى بلبلة !

وهو يسمح له بممارسة الثانية ، لأنها غير راسخة فيه ، ولا تتعب الشيطان الذى يستطيع أن يزغزعه عنها بسهولة .

من أجل هذا ، كان آباؤنا ينصحون أولادهم بقولهم : إن أية فضيلة يقدمها لك الشياطين ، ويقصدون به أن يهدموا فضيلة أخرى عندك ، أرفضها وقل لهم : هذه الفضيلة جيدة . ولكننى من أجل الله لا أريدها .

حقاً ، إن عمل الله لا يهدم بعضه بعضاً . وكل إنسان له شخصيته التى قد تختلف عن غيره . وقد لا يناسبه ما يناسب غيره . وليس كل أحد له سلطان أن يرتب وينظم ، وأن يوبخ وينهر ، وأن يحكم ويدين . ومن يعطه الله هذا السلطان ، لا بد سيمنحه أيضاً كيف يستخدمه حسناً ، دون أن يخطئ ...

وليس كل إنسان يستطيع أن يقول « ويل لى إن كنت لا أبشر » . فقد قال هذه العبارة القديس بولس الرسول الذى قال فى شرح ذلك « إذ الضرورة موضوعة على » وأيضاً « قد استؤمست على وكالة » (١ كو ٩ : ١٦ ، ١٧) . وأنت ، ما هى الضرورة الموضوعة عليك ؟ ! ومن الذى استأمنك على وكالة ، كما استؤمن القديس بولس من فم المسيح نفسه . وكما أخذ المعمدان رسالته فى بشرى الملاك لأبيه (لو ١ :

١٥-١٧). وكما أخذ القديس تيموثاوس مسئوليته بوضع اليد (٢ تي ١: ٦).
مثال آخر للفضيلة الجديدة ، المقصود به إضاعة فضيلة أخرى :

ب - إنسان يعيش في نقاوة القلب ، بعيداً عن العثرات الجسدية :
يعيش معتزلاً تماماً ، لا يقرأ قراءات تعثره ، ولا ينظر إلى أية مناظر تعثره ، ولا
يختلط بأية خبطة معثرة ، ولا يستمع إلى أية أحاديث معثرة . وهكذا يحتفظ بأفكاره
نقية ، لا تُدخل إلى قلبه أى شيء غير طاهر...
هذا الإنسان الطاهر ، يريد الشيطان أن يحاربه . ولا يستطيع أن يقدم له عثره
مكشوفة ، لأنه سيرفضها حتماً . فإذا تراه يفعل ؟

يفتح أمامه الباب ليكون مرشداً روحياً ، يقود الشباب للطهارة .
إذ كيف يعيش في الطهارة وحده ، ويترك أولئك المساكين يسقطون كل يوم ، ولا
يقدم لهم مشورة صالحة تنقذهم مما هم فيه ؟! ويقول له : «استمع إلى قول الرسول » من
ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفسه من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا » (يع
٥ : ٢٠) . ويظل به يقنعه لكي يقبل هذه الخدمة الروحية الحيوية ، حتى يقتنع ،
ويقبل أن يرشد الذين يأتون إليه ... ثم تأتي بعد هذا الخطوة الثانية ، وهي :

لكي يكون إرشاده عملياً ، لا بد أن يستمع إلى مشاكلهم وأخطائهم .
ويظل هؤلاء يضعون في أذنيه أخبارهم وقصص سقوطهم . وقد يقولون كل شيء
بالتفاصيل . وربما يكون في ما يحكونه ما يعثر... ويستمع (المرشد) الطاهر إلى كل ما
كان يبعد عن سماعه ، ويعرف ما كان لا يحب مطلقاً أن يعرفه . وما كان يحاول أن
يبعد عنه ، أصبح الآن يصب في أذنيه ، بكامل رضاه... وكل واحد يقدم صورة
جديدة ، أو صوراً عديدة من الخطأ .

وعن طريق الإرشاد ، يجد صاحبنا عقله وقد امتلأ بصور دنسة !
وأصبح يعرف أشياء صارت تشوه طهارة تفكيره ، وتدنس أخبار وقصص « ذكرها
أيضاً قبيح » (أف ٥ : ١٢) ... وحتى إن لم تعثره وتغرس فيه إنفعالات خاطئة ، فعلى
الأقل ستنجس فكره . وكأنه قد قطف أثماراً غريبة من شجرة معرفة الخير والشر...

فإن حاول أن يتعد ، يقال له : ما ذنب هؤلاء الشبان ؟

وقد يكونون قد تعلقوا به ، واستراحوا إلى إرشاده . وربما يتعبون ضميره بأنه إن تخلى عنهم سيرجعون إلى خطاياهم مرة أخرى . وقد يلحون عليه في أن يظل يسندهم حتى يقفوا على أرجلهم ... وهكذا يحدث له ما حدث للوط البار ، إذ قيل عنه « إذ كان البار بالنظر والسمع - وهو ساكن بينهم - يعذب يوماً فيوماً نفسه النار بالأفعال الأثيمة » (١ بط ٢ : ٨) . وهذا الأخ قد يكون بالسمع فقط وليس بالنظر . وربما ما يسمعه يضع في ذهنه صوراً لم ينظرها من قبل ، وكأنه نظرها فعلاً ...

وما أدرانا ، ربما هذا الأخ المرشد ، يسقط ، ولو بالفكر والقلب !
كان يمكن من أول القصة أن يحيلهم إلى أب اعتراف ويربح نفسه . ولكن الشيطان ورطه ، أو قذف به في أول الطريق ، فقل ذلك بسلامة نية ، دون أن يعرف كيف يتطور به هذا الموضوع .

وقد ينبجح أخيراً في تحويل هؤلاء إلى آباء اعتراف . ولكن بعد أن يكون فكره هو قد صار غزناً لقصاص كثيرة وأخبار ، ضيعت نقاوته الأولى ، وأدخلت في ذهنه معلومات جديدة عليه ، ينطبق عليها قول الحكيم « الذي يزيد علماً ، يزيد حزناً » (جا ١ : ١٨) .

ج - وقد تأتى حيلة الشيطان في الإرشاد بصورة أخرى ، يقدم فيها لا أخباراً تدنس القلب ، بل شكوكاً تعب العقل
إذ يكون القلب في بساطة الإيمان ، وتكون القراءات كلها روحية تعمق صسته بالله . ويأتى إليه من يطلبون معونته وإرشاده في شكوك تعبه . وتتوالى هذه الشكوك من هنا وهناك ، لكى تجد لها حلاً . ويبدأ إيمان هذا (المرشد) يتحول شيئاً فشيئاً من القلب إلى الفكر والبحث العسى ... وقليلون من يحتفظون بالإثنين معاً ... ويجد الشكوك تتكاثر عليه . وليست له موهبة الرد على الشكوك ...

وينبى أن نعرف أنه ليس كل أحد على مستوى الإرشاد .
الذين لهم هذه الموهبة ، لا يصيبهم ضرر سواء في المشاكل الروحية وسماع الخطايا الجسدية ، أو في المشاكل العقائدية وسماع الشكوك .
ولكن حيلة الشيطان الماكرة في هذا الأمر أنه :

يقدم الإرشاد للذين ليست لهم الموهبة ، ويصيبهم منه ضرر .

و يقدمه بأسلوب ضاغط ، يشعرهم به أنه ضرورة ملحة ، وأنه واجب مقدس وأن « من يعرف أن يعمل حسناً ولا يفعل ، فثلك خطية له » (يع ٤ : ١٧) . وما أسهل على القلب المتصع أن يقول في انسحاق « ولكنني هنا لا أعرف » ، « أنا الذي لم أستطع أن أرشد نفسي ، كيف يمكنني أن أرشد آخرين ؟ ! » ...

والشيطان قد يقدم عملاً روحياً ، ليزيل به تأثير عمل روحى آخر .
فإن رأى إنساناً قد صلى صلاة روحية عميقة ، واسكب في تأملات حارة أمام الله ، قد يرسل إليه إنساناً يطلب عمل المصالحة بين متخاصمين . لكها إذا جلس وسط هؤلاء المتخاصمين ، بكل ما في تصفية الجو من ضوضاء أو شوشرة أو شجار أو عتاب فاس ، تزول آثار الصلاة والتأملات . ويعود هذا المصلى إلى بيته ، وليس في ذهنه سوى ما سمعه من مناقشات حامية ، ربما تجعل عقله يسرح إذ صلى . وتحتاج أمثال هذه المواقف إلى إدماج الصلاة فيها ، وإلى تمهيدات روحية بعدها قبل الوقوف أمام الله للصلاة ...

وقد يرى الشيطان أن صلاتك حافلة بالتأملات ، فيريد تشتيتها :
فإذا فعل ؟ يقول لك وأنت تصلى « إن هذا التأمل عجيب جداً وعميق ، وإن سمعه آخرون سيستفيدون منه . فلنلا تنساه ، قم الآن واكتبه . وهكذا يكون قد أخرجك من الصلاة إلى الكتابة ، وقطع وفتت المتخشعة - أمام الله ، لكي تجلس وتكتب ، مهتماً بالآخرين أكثر من اهتمامك بالوقوف في حضرة الله ...
وفي كل ما يجذبك إليه الشيطان من فضائل أخرى ، يكون هدفه :
يفقدك ما عندك ، مغرياً إياك بفضائل أخرى ليست معك .
أو هو يفقدك الثابت الذى فى يدك ، من أجل وعود فى أشياء قد لا تتم . أو قد يسمح لك ببعضها لكي يسحب منك فيما بعد ...

٣ استخدام الفضائل فى غير موضعها

يقول الكتاب « لكل أمر تحت السموات وقت » (جا ٣ : ١) . فإذا استخدمت الفضائل فى غير وقتها وفى غير موضعها ، ربما تأتى بنتيجة عكسية ، ولا تخدم الغرض الروحى . وهذا بعض ما يقدمه الشيطان ضمن حيله الكثيرة .

ففى وقت التوبة ، حينما يلزم الإنسحاق ، يقدم فضيلة الفرح .

ويورد كل الآيات الخاصة بالفرح ، حتى يضيع الندم والإنسحاق والدموع ، كل هذه الأمور اللازمة لحفظ التوبة . وفى نفس الوقت يخفى الآيات الأخرى مثل « طوبى للحرانى الآن ، لأنهم يتعززون » (متى ٥ : ٤) .

وفى منهجه هذا ، يستخدم طريقة الآية الواحدة ...

وقد رفض السيد المسيح هذا المنهج . فعندما قال له الشيطان على الجبل « ... لأنه مكتوب ... » أجابه الرب « مكتوب أيضاً ... » (متى ٤ : ٦ ، ٧) . وهكذا أرائنا أن منهج الآية الواحدة الذى يستخدمه الشيطان ، لا يمكن أن يوصل إلى حقيقة روحية سليمة ، طالما هناك آيات أخرى توضح الموضوع .

وقد يستخدم الشيطان آيات كثيرة فى اتجاه واحد يخدم غرضه .

إنه يذكر الآيات الخاصة بالرحمة ، حينما يلزم الحزم وتلزم العقوبة . ويذكر الآيات الخاصة بالعقوبة حينما يلزم العفو والحنو والرحمة .

ويحاول أن يقنع الإنسان بالصمت ، ويورد نصوصاً عديدة من الكتاب ، مستخدماً إياها فى الوقت الذى يجب فيه الكلام . كذلك يورد آيات عن فائدة الكلام وأهميته ، فى الوقت الذى يحسن فيه الصمت ...

كذلك يورد للإنسان آيات لا تناسبه ، وهى خاصة بغيره .

فهناك آيات خاصة بالرسل ورجال الكهنوت ، لا تنطبق على العلمانيين ، يقدمها لشخص عادى كما لو كانت تخصه هو... مثل قول المسيح لتلاميذه الإثنى عشر « لا تدعوا لكم أباً على الأرض ... » (متى ٢٣ : ٩) .

ومثال ذلك أيضاً ذلك الشخص العنيف الذى كلما كان يرى شخصاً غطئاً ، كان ينال عليه ضرباً !! وذلك لأن الشيطان وضع فى أذنيه الآية التى تقول « فى أوقات الغدوات كنت أقتل جميع خطاة الأرض ، لأبيد من مدينة الرب جميع فاعلى الإثم » (مز ١٠١ : ٨) . من حيل الشيطان أيضاً فى محاربة البشر :

إن الشيطان يزرع الشكوك في كل مجال من مجالات الحياة . لأن الإنسان في حالة الشك يكون ضعيفاً يمكن للشيطان أن ينتصر عليه .

فهو مثلاً يفرس الشك من جهة التوبة .

سواء من جهة إمكانية التوبة ، أو من جهة قبول الله لها .

فهو يصور للإنسان أنه ليس من السهل عليه أن يتخلص من هذه الخطايا ، التي صارت طبيعة فيه ، أو عادة من عاداته ، أو صارت محبوبة لديه لا يمكنه مطلقاً الاستغناء عنها . وإذا يفرس فيه الشك الكامل في قدرته ، يخفى عنه تماماً معونة الله ، أو يشكك فيها أيضاً ، كما قال داود النبي « كثيرون قاموا علي . كثيرون يقولون لنفسى : ليس له خلاص بإلهه ... » (مز ٣) .

أما إن صمم الإنسان على التوبة ، فإنه يشكك في قبول الله لتوبته : إما لأنها أتت بعد فوات الفرصة ، أو لأنها توبة غير حقيقية ، أو لأن خطاياها بشعة من الصعب مغفرتها ! وتحتاج إلى عقوبات فوق احتمالها !

وكل هدف الشيطان هو إلقاء التائب في اليأس .

لكي تخور عزيمته ، ويبقى في الخطية حيث هو ...

وكذلك يشكك الشيطان في رحمة الله ، ويورد له آيات لا تخصى عن عدل الله ، وعن عقوباته . وربما تكون عقوبات عن خطايا أقل من خطاياها هو بكثير . وشكوك الشيطان قد تدخّل في الحياة الشخصية أيضاً .

فهو يفرس الشك في أيها أفضل : البتولية أم الزواج .

وأى طريق منها يختاره الإنسان بشكك فيه كذلك .

فإن اختار البتولية يشكك في إمكانية الحياة فيها ، وكيف أنها صعبة جداً ، وهي فقط « للذين أعطى لهم » (متى ١٩ : ١١) ، « وكل واحد له موهبته الخاصة من الله » (١ كو ٧ : ٧) . فما أدراك أن هذه موهبتك ؟! ويشرح له الإسقاطات التي وقع فيها القديسون . ويقول له : هل أنت أفضل من داود ومن شمشون ، وكلاهما حل روح الرب عليه ؟!

وإن اختار الزواج ، يقول له : لقد فقدت إكليل البتولية . ويضع أمامه قول القديس بولس الرسول « غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب . أما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى إمرأته » (١ كو ٧ : ٣٢ ، ٣٣) ، « ومن لا يزوج يفعل أحسن » (١ كو ٧ : ٣٨) .

وهكذا يتركه في بلبلة لا يعرف أى الطريقين يختار... !

وهو يغرس الشكوك أيضاً في موضوع الوحدة والخدمة .

إن اختار الإنسان طريق الوحدة ، يشرح له أمجاد الخدمة ، وكيف أنها طريق الرسل وأبطال الإيمان ، وأن « الذين ردوا كثيرين إلى البريضيئون كالكوكبا إلى أبد الدهور » (دا ١٢ : ٣) ، وأنه « لا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال ، بل على المنارة ، فيضيء لكل من في البيت . فليضيء نوركم هكذا قدام الناس ... » (متى ٥ : ١٥ ، ١٦) .

وإن اختار الإنسان طريق الخدمة ، يقول له الشيطان : لقد فقدت طريق الملائكة لأرضيين ، وحياة السكون والهدوء التي يتفرغ فيها الإنسان لله وحده . أما أنت فقد اخترت طريق مرثا التي وبخها الرب بقوله « أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ولكن الحاجة إلى واحد » . ولم تختَر طريق مريم التي جلست عند قدمي المسيح ، واختارت النصيب الصالح (يو ١٠ : ٤١ ، ٤٢) . ويذكره بالرؤيا التي ظهر فيها أن أرسانيوس لتوحد كان أفضل من موسى الأسود محب الأخوة وخادمهم .

وهكذا يستمر الشيطان في غرس الشكوك . وكما قال يوحن الدرجي : الراهب الذي يعيش في الوحدة ، يحاربه الشيطان بمحبة الأخوة وخدمتهم . والراهب الذي يخدم الأخوة في المجمع ، يحاربه الشيطان بمحبة الوحدة وحياة اسكون والصلاة والتأمل .

والشيطان يغرس الشكوك في العلاقات الإجتماعية كلها .

فهو يغرس الشكوك بين الزوج وزوجته ، وبين الصديق وصديقه ، وبين الشركاء في العمل ، وبين الرئيس ومروسيه . يشكك في محبة الواحد للآخر ، أو في إخلاص وأمانة الواحد للآخر . بل يشكك في كل تصرفات الناس ، وفي نياتهم ومقاصدهم . وكل ذلك لكي يزعزع صلات الناس ببعضهم البعض ، ويحوّلها إلى إنقسامات ونزاعات ، ويضيع الحب الذي هو عماد الحياة الروحية والإجتماعية كلها...

حتى الأمور التي يمكن أن تمر ببساطة ، يعقدها الشيطان بشكوكه العديدة ، وقد يخلق منها مشاكل عويصة ... !

وهو يشكك أيضاً في الإيمان ذاته وفي العقائد .

وكل البدع والمهرطقات التي قاست منها البشرية هي من صنع الشيطان ومن أفكاره ، وكذلك كل المذاهب المتعددة وما بينها من صراعات . والإلحاد أيضاً هو من صنع الشيطان ...

والشيطان أيضاً يشكك في إمكانية الحياة مع الله .

ويشرح أن حياة الروحية صعبة وغير ممكنة . فمن من الناس يستطيع أن يسير في الطريق الكرب ، أو أن يدخل من الباب الضيق (متى ٧ : ١٣ ، ١٤) . ومن يستطيع أن يصل إلى حياة الكمال التي يطلبها الرب منا (متى ٥ : ٤٨) . ومن يستطيع أن ينجو من حروب الشياطين ؟ !

وفي كل ذلك يحق عمل انعمة وعمل الروح القدس في خلاص الإنسان ، ويخفي معونات الله الكثيرة !!

والشيطان قد يغرس في القلب شكوكاً حول أب الاعتراف .

فيشكك في مدى إهتمام أب الاعتراف بالمعترف ، ومدى محبته له ، ومدى كتمانته لأسراره ، ويشكك في إرشاداته وصحتها وصلاحيتها للنمو الروحي . يشكك في معرفته ، وأيضاً في روحانيته . وهو يريد بكافة الطرق أن يبعد ضحيته عن أب الاعتراف ، الذي يكشف له حروب الشياطين وحيلهم ومكرهم . ويبقى المسكين بلا مرشد فيصبح فريسة سهلة للشياطين .

إنه يشككه في أب الاعتراف ، لكي يخالفه ، أو يتركه ، أو أن يخفى عنه تدابير . وكلها وسائل خاطئة . وقد يشككه أيضاً في سر الاعتراف ذاته . ويقول له : لماذا نعترف على إنسان مثلك ؟ !

وقد يشككه في الفضيلة ذاتها ...

فيقول له مثلاً ما لزوم الإتضاع والوداعة ؟ إنها يضعفان شخصيتك ! وما معنى أن تترك حقل ، ولا تأخذه بالقوة ، حتى يتلاعب بك غيرك ... ؟ وهكذا مع باقي الفضائل . أما أنت فلا تقبل الشكوك . وكلما أذاك شك ، قل : هذا من عمل الشيطان ...

ولا تقبل الشك داخلك ، ولا تستعمله ، ولا تدعه يستمر...

إن كنت كفوفاً المناقشة ، ناقشه واثبت زيفه ، واطرحه خارجاً . وإلا ، أطلب من الله أن يرفعه عنك . وتذكر قول الكتاب « كونوا راسخين ، غير متزعزعين » (١ كو ١٥ : ٥٨) .

وأرجو بنعمة الله أن أحدثك عن الشكوك في مناسبة أخرى ، بنطاق أوسع ، حينما نتحدث عن الحروب الروحية ، واحدة فوحدة بالتفاصيل .
سلاح آخر من أسلحة الشيطان في حروبه ، هو :

ه حرب اليأس

اليأس حرب يلجأ إليها الشيطان بعد مقدمات طويلة تمهيدية ...

- وربما تكون هذه المقدمات سقطات متتالية يوقع فيها ضحيته ، بلا هوادة ، حتى يصرخ أخيراً ويقول لا فائدة فنى . من المستحيل أن أخلص طالما أنا هكذا !
- وقد تكون هذه المقدمات إجماعات يغرسها في نفسه باستمرار ، باسم التواضع ! يقول فيها لنفسه كل يوم « أنا ضعيف وعاجز ، وكل خطية » ... ولكن بدلاً من أن يوصله إلى الإلتضاع ، يقوده إلى صغر النفس ، والشعور بأنه لن يقوم ثانية ...
- وربما تكون مقدمة حرب اليأس ، هي سقطة كبيرة (مثل سقطة يهوذا) يشعره الشيطان بعدها بأنه لا مغفرة ! أو قد لا تكون السقطة بهذه الدرجة ، ولكن ...

من عادة الشيطان أن يضحك في الأخطاء ليوقع صاحبها في اليأس .

والشيطان ماكر جداً في هذه الناحية . فهو قبل السقوط يسهل موضوع الخطية جداً ، حتى لتبدو شيئاً عادياً ، ويضعها مبررات ... أما بعد الخطية ، إما أن يستمر في سياسة التهوين لكي تتكرر ، وإما أن يدخل في أسلوب التهويل ليوقع صاحبها في اليأس . ويقول له : هل من المعقول أن يغفر الله خطية مثل هذه ؟

وربما يشعر الخاطيء أنه وقع في التجديف على الروح القدس !

وهكذا لا تكون له مغفرة إلى الأبد (مر ٣ : ٢٩) . وطبعاً لا تكون لتلك الخطية أية علاقة بالتجديف على الروح القدس . فالتجديف على الروح هو طرد الروح القدس

من القلب ، طرداً كاملاً دائماً مدى الحياة . وهكذا لا تكون للإنسان توبة ، وبالتالي لا مغفرة . لأن المغفرة مرتبطة بالتوبة ، والتوبة مرتبطة بعمل الروح في القلب .

وقد يجره إلى اليأس ، بإشعاره أنه لن يتوب ... !

يقول له : « هل من المعقول أنك ستترك الخطية ؟! مستحيل . لقد صارت تجرى في دمك . عزيمتك إنتهت ، وإرادتك إنحلت . بل حتى مجرد الرغبة في التوبة أصبحت غير موجودة عندك ... كم مرة حاولت أن تتوب ، وفشلت ؟! كم مرة إعترفت بخطاياك ، ورجمت إليها وربما بدرجة أسوأ ؟! ... » وهكذا يحطم معنوياته إلى أن يستسلم له ، ويتوقف عن المقاومة ...

يقول له : إنك قد صرت بكليتك في يدى . أنقلك من هذه اليد إلى الأخرى ، بكل سهولة ، كما أشاء . فلا داعى إذن لصراع فاشل لا تكسب منه شيئاً .

وطبعاً كل هذه تخاويف لا أساس لها ، وتهديدات زائفة ...

فإن الله قادر أن يمنح الإنسان التوبة ، مهما كانت حالته سيئة . والتاريخ يحكى لنا الحالات السيئة جداً التى كانت فيها مريم القبطية ، وبيلاجيه ، وأغسطينوس ، وموسى الأسود . ومع ذلك تابوا . وليس هذا فقط بل صاروا قديسين ... ومع ذلك فكلمة سقط الإنسان ، يحاول الشيطان إلقاءه في اليأس . ويقنعه بأن هذا سقوط دائم أبدي ! وليس سقوطاً طارئاً .

فا أجل كلمة العزاء في سفر مبخا النبي « لا تسمى بى يا عدوى . (فانى) إذا سقطت أقوم » (مى ٧ : ٨) . والكتاب يقول إن « الصديق يسقط سبع مرات ويقوم » (أم ٢٤ : ١٦) . ومع هذا السقوط الكثير ، سماه الكتاب صديقاً ...

ومن وسائل الشيطان في اليأس ، ضربه لنا في أوقات روحية .

وهذه من حيله المشهورة ، حتى باتت معروفة للكثيرين . ومثال ذلك :

تكون في سهرة روحية طول الليل في الكنيسة ، في بدء عام جديد ، وكلك رغبة وتصميم أن تبدأ بدءاً حسناً بعام مبارك مقدس . وتحضر السهرة والقداس وتتناول . ثم تخرج لكى يرسل لك الشيطان إنساناً متعباً جداً يعكر دمك ويشيرك ، ويجعلك تنفصب وتخطيء . وحينئذ يضربك الشيطان باليأس ، فتقول : أبعد كل هذا أسقط ! إذن لا فائدة .

كلا ، لا تيأس . فهذه هي حيله المعروفة .

قل كما قال النبي « إني إن سقطت أقوم » ...

واعرف أن الشيطان لا يهدأ في حربه . في أول كل عام جديد ، وفي كل يوم روحى ، وبعد كل صلاة روحية ، وفي بداية كل صوم ، وبعد كل تناول ... توقع منه ضربة لإسقاطك فإن فعل ، قل له إلعب لعبة أخرى ، فقد صارت ألعيبك هذه مكشوفة ...

صدقونى إن الحروب في المناسبات الروحية ، لا تخصى ... وقد تكون هذه الحروب مجرد حسد من الشيطان لعملك الروحى أو لنجاحك .

ومن وسائل اليأس ، أن الشيطان يغرى الإنسان بمستويات أعلى منه .

بضربه ضربات يمينية ، ويفنعه بمستويات روحية لا يستطيع الوصول إليها ، ويشجعه على ذلك بكل قوة . فإن نصحه أب اعترافه بالتدرج حتى يصل ، وأراد أن يقلل من هذا المستوى ، يشككه في أب اعترافه ومستواه الروحى .

وما أسهل أن يسلك الإنسان يومين أو ثلاثة أو أكثر في درجة عالية ، على غير أساس ، ثم لا يستطيع أن يستمر ، ويفشل . وهنا يبدأ الشيطان أن يغيّره ويلقيه في اليأس ، ويقول له : إنك لا تصلح للطريق الروحى ! طبيعتك لا تتفق مع الحياة الروحية السليمة . ويستمر في تحطيم نفسيته ... بينما لو تدرج ، كما نصحه أب الإعراف ، لاستطاع أن يصل إلى هذا المستوى الذى أراده الشيطان أن يبدأ به .

لقد استطاع الشيطان أن يقنع الكتبة والفريسيين بأن يسلكوا بأسلوبه .

فكانوا في إرشادهم الروحى « يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ، ويضعونها على أكتاف الناس . وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم » (متى ٢٣ : ٤) . وهذه الأحمال الثقيلة تدفع أحياناً إلى اليأس ، إذ قد يقول حاملها : من يقدر على هذا ؟ من يستطيع أن يخلص ؟!

أما الرسل القديسون فلم يفعلوا هكذا ، بل رأوا في قبول الأمم « أن لا يشغل على الراجعين إلى الله من الأمم » (أع ١٥ : ١٩) ، وأرسلوا إليهم قائلين « لا نضع عليكم ثقلاً أكثر ، غير هذه الأشياء الواجبة » (أع ١٥ : ٢٨) . وقد قال القديس بولس الرسول « سقيتكم لبناً لا طعاماً ، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون » (١ كو

لذلك إن أغراك الشيطان بما فوق مستواك ، فلا تقبل .
قل له : اذهب عني يا شيطان ، فإن لي مرشدى الروحى لذى أسمع به . أما أنت
فلا تقصد بى خيراً . ولك طرقك بلا نظام ، ولا توصل .

يروى عن القديس الأنبا أنطونيوس أن الشيطان أيقظه ذات ليلة لكى يصلى ، فلم
يقبل القديس نصيحته . وقال له : أنا أصلى حينما أريد ، ومنك لا أسمع ...
إن الشيطان يرفع الإنسان لكى يسقطه . ون سخط يدفعه إلى اليأس فى شماته .
وحرب اليأس هامة بالنسبة إلى الشيطان ...

فالإنسان حينما ييأس ، تتحطم روحه المعنوية ، ويفقد ثقته بنفسه ، وثقته
بالله ، وثقته بإمكانية الحياة الروحية ، ويستسلم للسقوط ...

وهذا هو عين ما يريده الشيطان . لكىلا تقاومه فريسته ، فتهلك . وكأنه يقول
لهذا الإنسان اليائس المستسلم له : إنك لن تفتت من يدي . أنت ذاهب إلى جهنم لا
محالة . فلا فائدة . ولذلك نصيحتى لك أن تتمتع بالدنيا بضعة أيام ، بدلاً من أن
تخسرهما دنيا وآخره ... !

يقنعه الشيطان بصعوبة الحياة الروحية ، وبأنه ضعيف وطبيعته فاسدة ! كما
يقنعه بأنه لن يفلت من يده ، ولا من العدل الإلهى ...

هذه هى أكبر أسلحة الشيطان فى حرب اليأس . والرد على كل ذلك بسيط . وهو
أننا لا نحارب بإرادتنا الطبيعية ، لأن الحرب للرب (١ صم ١٧ : ٤٧) . وهو الذى
يقودنا فى موكب نصرته (٢ كو ٢ : ١٤) . وإن كنا نحن لا نستطيع ، بسبب ضعفنا
وفسادنا وصعوبة الطريق ، فإننا نستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينا (فى ٤ :
١٣) . يستندنا عمل النعمة ، وقوة الروح القدس العامل فىنا ، وملائكة مرسلون لمعونتنا
(عب ١ : ١٤) . وتستندنا شفاعة القديس فىنا ...

أما الشيطان فلا سلطان له علينا ، ولا نعبأ بتهديده ، وما أجمل قول الرسول
« قاوموا إبليس فيهرب منكم » (يع ٤ : ٧) . أما العدل الإلهى فقد وفاه الرب على
الصليب ، وقد قدم لنا فى حبه خلاصاً هذا مقداره (عب ٢ : ٣) . ونحن « إن اعترفنا
بخطايانا ، فهو أمين وعادل ، حتى يغفر لنا خطايانا ، ويطهرنا من كل إثم » (١ يو ١ :
٩) . ويفسلنا فنيبض أكثر من الثلج (مز ٥٠) . وهو الذى قال لنا « إن كانت

خطاياكم كالقرمز، تبيض كالثلج...» (إش ١: ١٨).

إن حرب الشيطان هي اليأس ، بالطرق التي وحدنا عليها .

أما الكتاب فإنه يشجعنا . ويجعل الرجاء من الفضائل الكبرى (١ كو

١٣: ١٣).

وكثيرة هي وعود الله لنا وللكنيسة : إن أبواب الجحيم لن تقوى عليها (مق ١٦ :

١٨) . وإننا « بقوة الله محروسون » (١ بط ١ : ٥) . وأنه قد نقشنا على كفهِ (إش

٤٩ : ١٦) . والكتاب يقول إن « الله لم يعطنا روح الفشل ، بل روح القوة... » (٢ ق

١ : ٧) . ولذلك نصحن الرسول أكثر من مرة بأننا « لا نفشل » (٢ كو ٤ : ١٦ ، ١ ،

غل ١ : ٦) .

إن كنت ماشياً في الطريق الروحي ، ووقعت ، لا تظن أنك لا تعرف

المشى ، وتيأس ! بل قم وأكمل المسير...

إن الشيطان يحسد خطواتك ويريد أن يعرقلها . فلا تدفعك عراقيله إلى اليأس . بل

على العكس ، قم بقوة أكثر . واعرف أنه لولا نجاحك في العمل الروحي ، ما كان

الشيطان يحاربك ! حقاً ، لماذا يتعب الشيطان نفسه في محاربة الساقطين ؟ إنه يتصدى

بالحرى لبقائهم ، ولذين يخاف جهادهم ضده .

إستمع إذن إلى قول الرسول « كونوا راسخين غير متزعزعين » (١ كو

١٥ : ٥٨) .

كن قوى القلب بالله ، ولا تيأس ...

لا تيأس مهما كانت حروب الشيطان قوية .

ولا تيأس مهما سقطت ، ومهما نسيت الرصية ، ومهما فشل التدريب .

لا تيأس إذا كانت البداءة التي بدأت بها بداءة ضعيفة ، أو بداءة ساقطة ، أو

بداءة ضائعة .

قل لنفسك : كل هذه مجرد حروب ، وأنا سأثبت في الله .

سأسير نحو الله ، وإن كنت أجزّ رجلتي جرأً إليه ...

مهما سقطت مائة مرة في الطريق ، سأقوم وأكمل طريق ...

ولن أقبل اليأس مطلقاً . إنه من عمل الشيطان .

نتنقل إلى حيلة أخرى من حيل الشيطان وهي أن :

إن الشيطان لا يصر على خط معين في محاربته للإنسان . إنما ما أسهل أن يغير خطه وخطيئته ، إن كان ذلك يوصله إلى إسقاط من يريد .
وسنضرب لذلك بعض أمثلة :

أ - شاب كان يحاربه الشيطان بالزنا حرباً عنيفة ويتعبه فيها ويسقطه أحياناً . فبدأ هذا الشاب في حياة توبة ، وأصبح يحترس من هذه الخطيئة بالذات إحتراساً شديداً : يبعد عن كل أسبابها . ويسد كل الأبواب التي تأتي منها الخطيئة ، سواء كانت من القراءات أو السماعات أو اللقاءات . وفي نفس الوقت يقوى نفسه من الداخل بكل الوسائط الروحية ، ويصلى إلى الله بدموع لكي ينقذه ...

فإذا فعل الشيطان إزاء هذا الحرص الشديد من خطيئة الزنا ؟

يقول : أتركه الآن ، لا أحاربه بهذه الخطيئة فترة طويلة ، حتى يظن أنه انتصر عليها تماماً ، فلا يحترس من جهتها . ولتحارب حالياً بخطيئة أخرى ...

ويتركه سنة أو إثنين أو ثلاثاً ، بلا حروب في هذه الخطيئة ، بلا عثرات ، بلا أفكار . ويلقيه مثلاً في خطيئة الكبرياء ...

يرى المسكين أنه نجى من الزنا ، فيفرح . ويغريه الشيطان بمستوى عالٍ في الصوم ، في القراءة ، ثم في الخدمة ، وفيها هو مستريح الفكر من الخطيئة ، ومستريح في منهجه الروحي ، يدعو الشيطان إلى تطبيق هذا المستوى على غيره . ويريه أنهم مقصرون ، وأنه فاقهم بمراحل ، فيوقعه في الكبرياء . ويدعوه إلى توبيخهم وتبكيتهم وإدانتهم : أبوك لا يص . أمك لا تصوم . إخوانك لا يتناولون . أسرتك لا تقرأ الكتاب . إذهب ووبخهم ، وبشدة ...

ويمتد نطاق التوبيخ واحتقار الآخرين ، وشتيمة واحتقار هؤلاء وأولئك ، لأنهم بعيدون عن الله ، مع تعالى لقلب بما وصل إليه . وفيما هو يحاول أن يخلع الزوان ، يصير هو نفسه زواناً . إذ أصبح باسم الحق يشتم ، ويحتد ، ويدين ، ويحتقر ، ويتعالى على غيره ، ويسبح في الغرور والكبرياء ، يقول كالفريسي « أشكرك يا رب إني لست مثل سائر الناس ... » (لو ١٨ : ١١) .

وتسأل الشيطان عن خطية الزنا التى أراح منها هذا الشاب ؟

فيجيب : الذى يهلك بالكبرياء ، كالذى يهلك بالزنا . كلاهما هالك .

أليس أن الذى يموت بالسل ، كالذى يموت بالسرطان ، كالذى يموت فى عملية جراحية ؟ كنه موت ... والنهاية واحدة ... « تعددت الأسباب ، والموت واحد » ...

أما حرب الزنا التى يظن هذا الشاب أنه قد نج منها ، فى الحقيقة أن لها يوماً تعود فيه إليه ، حينما يقل إحتراسه من جهتها ، ويقل حرصه واجتهاده فى مقاومتها . حينئذ يضربه الضربة فلا يفيق منها . وتسأله كيف ؟ فيقول :

فى الفترة التى استراح فيها الشاب من حرب الزنا ، ظن أنها فارقت بلا عودة ، ولم يعد لها وجود فى حياته ، وأنها من الخطايا التى تحارب المبتدئين فقط . ولا يعقل أن تحارب المستويات العليا التى وصل إليها ! بل إن كثيرين أصبحوا يسترشدون به فى مقاومة هذه الخطية .

وهكذا أصبح يسمع تفاصيل عن هذه الخطية ما كان يسمح لنفسه أن يسمعها من قبل . وبعض أمور خافية عن معرفته ، صار يقرأ لها كتباً فى هذا الموضوع المعثر ، ليرد على أسئلة سائليه ، وما كان يقرأ هذه القراءات مطلقاً فى فترة حرصه واحتراسه !

وهكذا امتلأ ذهنه بأفكار صارت تترك فى نفسه مشاعر وتأثيرات ، تنمو بمرور الوقت وهو لا يدري . إلى جوار أنه بسبب الكبرياء وادانة الآخرين ، بدأت النعمة تتخلى عنه . وهنا أتت الساعة التى يضربه فيها الشيطان بهذه الخطية بالذات . ويسهل عليه إسقاطه . وتكون حطة الشيطان قد نجحت على الرغم من تغييرها فى الطريق ...

وهنا يقول الشيطان : إننى أرحته زمناً من هذه الخطية ، لكى لا يستعد لها . وحينما لا يستعد لها ، لا يدقق . وفى عدم تدقيقه يتساهل مع الخطية وأفكارى . وفى هذا التراخى وتساهله معى ، أضربه بالخطية التى استراح منها سنوات ، فيسقط بسهولة .

هذا هو لشيطان ... ! قد لا يحاربك الآن بخطية معينة ، ليس محبة منه لك ، إنما لأنه مجهز لك فخاً من نوع آخر .

ب - مثال آخر : إنسان آخر ساقط فى خطية الغضب ، وخطية الإدانة ، وخطايا السب والكلام الجارح . بدأ يستيقظ لنفسه ، ويدخل بقوة فى تداريب صمت ،

ليتخلص من خطايا اللسان جمة . فإذا يفعل الشيطان ؟

يقول : لا مانع من أن نغير الخطئة . وبدلاً من محاربته بخطايا اللسان والغضب ، نحاربه بخطية الغرور مثلاً ...

بحيث يقتنع تماماً ، أنه لا يوجد إنسان أفضل منه . وكيف ذلك ؟ نربحه من خطايا اللسان تماماً ، فلا نحاربه بها الآن مطلقاً . وننصحه بشيء من النمو الفجائي في العمل الروحي ، بلون من المغالاة ، ولا نحاربه في ذلك .

ويظن أن لا يوجد مثله ، فيسلك في الغرور . وربما يختلف مع أب اعترافه الذي لا يوافق على تطرفه وغروره ، فلا يأبه . ويصبح في وضع لا يخضع فيه لأحد ، ولا يطيع أحداً ، ولا يستشير أحداً ، ولا يحترم أحداً .

والغرور يسقطه ويهلكه ، بدون السقوط في خطايا اللسان .

ومع ذلك فالغرور سيجعله يصطدم بالآخرين . ولا بد سيقع في خطايا اللسان ، حتى بدون شيطان ! فكم بالأولى إذا حاربه الشيطان بها ...

إن الشيطان يعدّل خططه باستمرار . ينظر إلى حالة الإنسان ، ويختار له السقطة التي تناسبه . إنه يعرف متى يحارب ، وكيف يحارب ، وبأى نوع ... ؟

والذي لا يسقط بهذه الطريقة يسقط بغيرها .

والذي لا يسقط في هذه الخطبة الآن ، مصيره أن يسقط فيها هي بذاتها ، فيما بعد ، والفخخ كثيرة ، موجودة ومنصوبة .

ج - مثال ثالث في كيف يغير الشيطان خططه :

بدأ الصوم الكبير . وكان الشيطان في العام الماضي يقاتل شاباً بترك الصوم ، فلم تنفع معه كل المحاربات :

• قال له ليشككه في الصوم : ما معنى أن تصوم عن الأطعمة الحيوانية ؟ صم بالأحرى عن الخطية ، وحارب الحيوان الذي في داخلك ... لأنه ما فائدة الصوم بدون طهارة ونقاوة ؟ ألا يكون صومك غير مقبول ؟

— فأجاب الشاب : بل أنا أنفذ قول الكتاب « إفعلوا هذه ، ولا تتركوا تلك » (متى ٢٣ : ٢٣) . فأحاول أن أصوم الصومين معاً . أصوم جسدي عن الطعام ، وأصوم نفسي عن شهوة الخطية « أقع جسدي وأستعبده » (١ كو ٩ : ٢٧) بمنعه عن الأطعمة

الشبهة ، وأتمود بذلك قهر النفس فلا تخطئ .

• قال الشيطان : ولكنك ضعيف ، وصحتك لا تحتمل الصوم . ولا بد تحتاج إلى البروتين الحيوانى لتعيش ، وبخاصة وأنت فى فترة نمو

— فأجابه الشاب بقول الرب « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان » (متى ٤ : ٤) .
وتذكر أن آدم وحواء كانا يعيشان على الثمار والبقول ، ثم عشب الأرض (تك ١ : ٢٩ ، ٣ : ١٨) . ولم يقل الكتاب إنها مرضا لنقص البروتين الحيوانى ! ...

• قال الشيطان : لا مانع إذن من أن تصوم . ولكن لا داعى لأن تصوم الصوم كله من أوله ، فهذا كثير . وأيضاً لا تضغط على نفسك فى الصوم ، لئلا يحاربك الشيطان بالمجد الباطل ! وأنت تعرف حروب الشياطين ، وخطورة ضربات اليأس .

— أجاب الساب : لا أريد أن أتهاون . فالرب يدعونا إلى الكمال (متى ٥ : ٤٨) . ومهما صمت ، ماذا يكون صومى إذا قورن بأصوام القديسين ؟ ! إنه لا شىء ...

وصام الشاب . وحل الصوم هذا العام ، والشاب فى تصميمه .
ورأى الشيطان أن محاولة منع هذا الشاب عن الصوم ستكون محاولة عقبة . لذلك بدأ يغير خطته إلى العكس .

• فقال للشاب : ما أفيد الصوم ! إن عمق فائدته تأتى من طول فترة الإنقطاع . ومن رأى أن تنقطع كل يوم إلى الغروب من بدء الصوم .

ولكن لا بد أن تستشير أب عترتك وتأخذ موافقته (وكان يعلم يقيناً أن أب الإعراف لن يوافق) ... وهنا نصب له فخاً .

ولم يوافق أب الإعراف ، ودعا الشاب إلى التدرج ...

• وهنا تدخل الشيطان ليقول : إن أب اعترافك هذا ، لا خبرة له بالصوم . وهو بإرشاده يعطل حياتك الروحية . وبطريقته هذه لا يمكن أن تنمو ، ولا أن تذوق حلاوة الصوم . بل أخشى عليك إذا ضغطت الظروف ، أن ينصحك يوماً بأن تفطرن أسبوع الآلام !! والأفضل أن تغير أب اعترافك . ومن الممكن فى أمور الصوم وأمثالها ، أن لا تستشير أب الإعراف ! أترك هذه الأمور أصرفها معك بنفسى !

وهكذا غيّر الشيطان خطته ، من تشكيك فى الصوم ، إلى تشكيك فى أب

الإعتراف . ليس المهم عنده نوع الحرب ، إنما أن يسقط من يحاربه .
وبتحويين الشاب عن أب اعترافه ، جمعه يسلك حسب هواه بلا مرشد ، مع
كبرياء في القذب يظن بها أنه أفضل من مرشده ، مع إدانة لهذا المرشد . وكل هذه
وسائل تجرّه في طريق السقوط إلى أسفل .

د - مثال رابع : شيطان المجد الباطل :

إنه شيطان يغيّر أسلوبه باستمرار ، ليطابق أى حال يراه ...
وصف بأنه شيطان مكور ، أى كالكرة يتقلب في أى وضع .
وهو في ذلك غير المكعب الذى لا بد أن يستقر على قاعدة معينة . أما المكور فحيثما
تقلبه أو توجهه ، يتحرك ، على كل وجه ، كالكرة .
إن كنت جالساً إلى المائدة ولم تأكل ، يقول لك « يعجبني نسكك هذا ، إنك لا
تأكل كسائر الموجودين . وإن أكلت مشهم تماماً ، يقول لك « هكذا القديسون :
يتظاهرون بالأكل وهم صائمون ، لكي يخفوا فضائلهم » .

إن نكلمت ، يقول : إنه كلام الحكمة ، موضع إعجاب السامعين ...
وإن صمتت ، يقول : الصمت فضيلة القديسين مثل القديس أرسانيوس !
فكن حكيماً مع هذا الشيطان . ولا تصدقه فيما يقوله ، ولا تتأثر بكلامه
وأحكامه . وإن حاربك بمديح نفسك لنفسك ، تذكر خطاياك وضعفائك ، وبغت ذاتك
عليها . أو تذكر ما ينقصك في حياة البر ، حتى تقيم توازناً مع ما تسمعه من مديح ...
وعموماً - بالنسبة إلى أى شيطان - إذا غيّر خططه معك ، يمكن أن تغيّر أنت
أيضاً خطتك معه .

ومثال ذلك ، القديس يوحنا القصير : كان الشياطين يمدحونه على ما وصل إليه
من فضيلة ، حتى أن الإسقيط كله كان يطلب منه كلمة منفعة . فيجيبهم : ومن أنا
المسكين ؟ ألقى وصلت إلى ما وصل إليه الأنبا أطلونيوس أو الأنبا بيمو ؟ إننى كل
خطية . فإن قالوا له : حقاً إنك خاطيء وستهلك ، يجيبهم : وأين ذهبت محبة الله
ورحمته ؟

فكان الشياطين يقولون له « لقد حيرتنا . إن رفعناك إتضعت . وإن وضعناك
إرتفعت » ... فكن أنت هكذا في تعاملك مع الشياطين .

إن مدحوك ، تذكر خطاياك . وإن أراحوك من محارباتهم ، قل : لعلهم يعتدون لي فحاً لا أعرفه . فليرحم الرب ضعفى ...

بل أذكر أنك لم تنص إلى المستوى الذى يحاربك فيه الشياطين . مثل ذلك الأخ الذى شكاً للقدیس الأنبا بيشوى محاربة الشيطان له . فظهر الشيطان للقدیس ، وقال له : من هو هذا الأخ لأحاربه ؟ أنا لم أسمع بعد بأنه قد ترهب !

إن حرب الشياطين الحقيقية حرب شديدة . وربما غاليتمنا لم يتعرضوا لها . والحروب التى تعرض لها القدیسون كانت عنيفة ، لا يسمح الله أن نكابدنا نحن . إن شيطان المجد الباطل ، يقدم حرباً أساسها المديح . ولكن هناك طريقة عكسية لهذه تماماً يحارب بها الشيطان أحياناً ، وهى : حرب الكآبة ...

٧ الكآبة

هى نوع من المبالغة الشديدة يحارب بها الشيطان التائبين ، أو الشاعرين بخطاياهم ، أو المنسحقين بقلوبهم ، لكى يجرحهم إلى الضياع ...

يختار لهم الشيطان من بين كل آيات الكتاب المقدس آية واحدة يضعها أمامهم باستمرار وهى « بكآبة الوجه يصلح القلب » (حـا ٧ : ٣) . ويقول لهم إن الكتاب لم يذكر مطلقاً أن المسيح قد ضحك ، ولكن ذكر أنه بكى مرات ...

وكلما يقع هذا الإنسان فى خطية ، أو يُحارب بشدة فى خطية ، يظل للشيطان يزيده كآبة . ويقول له : أنت لست ابناً لله ، لأنك خاطىء ، والكتاب يقول إن « المولود من الله لا يخطئ » (١ يوحنا ٣ : ٩ - ١٨) .

ويقول له : وليس الله فقط ، بل حتى أب اعترافك القدیس لا تستحق أن تكون له ابناً . إنك عار عليه . نسيء سمعته .

والأفضل أن تترك هذا الأب البار ، حتى لا يعيره الناس قائلين : أنظر ، هذه هى عينة أبنائك . وأيضاً أتركه حتى لا يأخذ دينونة بسببك ، وحتى لا تحزن نفسه باستمرار ، كلما يراك هكذا .

وهكذا يبعده عن الله ، والشعور بأبوته ، ويبعده عن أب الاعتراف .

وحتى إن أمسك الكتاب لمقدس لبقراً ، يقول له : وهل تتجرأ تمسك كتاب الله بيدك هذه غير الطاهرة . إن كل كمنه في هذا الكتاب دينونة عليك . لأن السيد المسيح نفسه يقول عنك وعن أمثالك « الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير » (يو ١٢ : ٤٨) . وهذا يملأ نفسه بالكآبة ، حتى يترك الكتب بنفس مرة يائسة ...

وحق الخدمة - إن كان خادماً - يبعده عنها كغير مستحق .

فيقول له : إن الخدمة هى عمل القديسين وليس الخطاة . وأنت خاطيء لا تستحق أن تجلس فى مكان المعلمين ، وإلا ستكون عشرة ، كما أن الخدمة ستسببك خطاياك التى يجب أن تضعها أمامك فى كل حين ، وتكتشف عليها ليلاً ونهاراً .

حتى إن وقف بصلّى ، يمنعه قائلاً : « صلاة الأشرار مكرهة للرب » (أم ١٥ : ٨ ، ٢٨ : ٩) ... ويقول له : هوذا العشار وقف بعيداً ، لا يجرؤ أن يرفع نظره إلى فوق (لو ١٨ : ١٣) . وأنت بكل استهتار ولا مبالاة ، تتحدث مع الله ، وأنت كاسر لكل وصاياه . ليتك تنجّل من نفسك ، وتبعد عن هذه الصلاة الأثيمة !

وهكذا يبعده بالكآبة عن كل وسائل النعمة ، لينفرد به .

ينفرد به وهو وحيد ، بنفس محطمة ، وليس حوله إنجيل ولا صلاة ، ولا أب اعتراف ، ولا خدمة ولا اجتماعات كنسية ، بل ربما وليس حوله أيضاً أصدقاء ، إذ بددوا عنه بسبب كآبته ، أو بعد هو عنهم ... وهكذا يصير فريسة سهلة للشيطان .

وما أسهل أن يقول له : أترك الوسط الدينى لأنه سبب كآبتك !

أو ما أسهل أن يرسل له هذه لعبارة على أفواه أقاربه ، أو على فم طبيب معالج . ويجذب بالتدريج إلى وسائل من الله للترفيه عنه من كآبته ، ولو إلى فترة مؤقتة ، يطيلها الشيطان بحيله الأخرى ، إلى أن يبعده عن الله تماماً ...

أو أن الشيطان يسقطه بوسيلة أخرى وهى اليأس . وتكون الكآبة مهددة لذلك .

وحيلة الشيطان فى الكآبة ، أنه أبعد فريسته عن الرجاء والمغفرة .

أبعده عن وجه الله المحب ، الذى استقبل ابنه الضال بكل ترحاب ، وفرح به ، وجعل الكل يفرحون ، وألبسه الحلة الأولى (لو ١٥ : ٢٢ - ٢٤) . بل إن لرب يقول إنه « يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطيء واحد يتوب » (لو ١٥ : ١٠) ... حقاً إن

القديسين نكوا على خطاياهم ، ولكن ليس بغير رجاء . بل إن الكتاب يقول :

« لا نخزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم » (١ تس ٤ : ١٣) .

الحزن على الخطية ، لا يفصلنا عن الله ، بل يقربنا منه . ويزيد محبتنا له ، لأنه على الرغم من خطايانا ، غفر لنا . بل قال بالأكثر « لأني أصفح عن إثمهم ، ولا أذكر خطيتهم بعد » (أر ٣١ : ٣٤) . والله لا يسر بموت الشرير ، بل بأن يرجع ويحيا (حز ١٨ : ٢٣) .

مشكلة الذى فقد الرجاء بالكآبة ، أنه أخذ مشورة الحية ، الشيطان .

أما كلمة الله ، فإنها مملوءة عزاء . وقلب الله باستمرار مملوء حباً . والكآبة جعلت لكى تقود إلى التواضع والإنسحاق ، وليس إلى اليأس والإنفصال عن الله . أما إذا استخدم الشيطان هذه الكآبة بطرقه الشريرة ، فإنه لا شك يضع صاحبها .

ها هو بطرس الرسول بعد أن أنكر المسيح ، ومع أنه بكى بكاءً مراً ، إلا أن السيد المسيح له المجد ظهر له ، وقال له « إرفع غنمى . إرفع خرافى » (يو ٢١ : ١٥ ، ١٦) . أى رجاء يمكن أن يقال أكثر من هذا . لذلك فإن كآبة الوجه التى تصلح القلب ، ينبغي ألا تفصل عن الحب وعن الرجاء .

نتقل إلى نقطة أخرى من حروب الشياطين ، وهى :

٨ السرعة

أعمال لشيطان تنصف بالسرعة ، أو بما يسمونه فى العامة (جنة) ... بعكس أعمال الله التى تتميز بالهدوء والروية وطول الأناة . وقد تأخذ وقتاً ، ولكنها تكون متقنة وهادئة ، كقصة الخلاص ، ووعود الله ...

الشيطان يقدم لك فكراً ، ويظل يلح ويلح على تنفيذه بسرعة ...

وتشعر حينما يكون الفكر الشيطاني فى داخلك ، بحماس شديد للتنفيذ ، وبنار تتقد فى داخلك ، وحافز يدفعك دفعاً لتنفيذ ، الآن ، وبلا إبطاء ، ودون أن يأخذ الفكر فترة حضانة داخلك ، تناقشه وتفحصه وتبحثه ، وتنظر إليه من جميع انزاويا الأخرى ، وتراجع رأيك فيه ...

إنه يقصد بالسرعة أنك لا تفكر ، وأيضاً لا تستشير .

يريد بالسرعة أن ينفرد بك ، دون أن يدخل أحد بينكما ، تستشير وتستفيد برأيه وخبرته وروحانيته ، لا صديق ولا قريب ، ولا أب اعتراف ، ولا مرشد روحى ، ولا أى إنسان صاحب خبرة ، إنما بسرعة عليك أن تنفذ ...

وهو يريد بالسرعة أيضاً ، عدم عرص الأمر على الله بالصلاة .

لا يريد أن يعطيك فرصة تصب فيها من أجل هذا الموضوع ، وترى ماذا يقول الله فيه ، ولا فرصة ترفع فيها قداساً من أجل الموضوع ، أو تصوم طالباً لإرشاد الرب ... إنما يبع عليك بالفكر إلحاحاً ، ويقنعك به كأنه بديهية لا تقبل النقاش ... ولذلك قال الآباء :

كل فكر ، يلح عليك أن تنفذه بسرعة ، هو من الشيطان .

وطبعاً لا يقصد بهذا الرغبة فى التوبة والرجوع إلى الله ، والإلتصاق به بالحب ، بل الأفكار الأخرى التى تحتاج إلى مناقشة ، وليست عاجلة (كإنقاذ غريق أو إطفاء حريق) ... وكمن من أمور تُسرّع الإنسان فى تنفيذها . وحينما رجع إلى نفسه بدم على ذلك جداً . وأحياناً تكون أفكار الخطية والشهوة ممتعة جداً ، لا تعطى صاحبها فرصة للتفكير وتغيير مجرى مشاعره ...

الشيطان يقصد بالسرعة أيضاً ، أنه لا ينكشف ...

ربما تكون وراء فكرته أو اقتراحه كذبة أو حيلة لا يريد لها أن تنكشف بالتفكير أو بالاستشارة أو بالصلاة . فيبع على إتمامها بسرعة قبل كشفها . ولذلك فإن وجود أب الإعتراف مفيد هنا فى كشف حين العدو . وقد قيل « الذين بلا مرشد ، يسقطون مثل أوراق الشجر » . لأنهم ينفذون بسرعة قبل أن يستشيروا . يلح عليهم الشيطان إلحاحاً ، فيتممون فكره ، قبل أن تنكشف حيلته .

أما أولاد الله ، فإنهم لا يعطيهم كل فكر يأتهم ...

مثال ذلك الفكر الذى جاء للقديس مقاريوس لكى يذهب إلى البرية الجوانية ليرى الآباء السّواح . يقول القديس « فبقيت مقاتلاً لهذا الفكر ثلاث سنوات ، لأعرف هل هو من الله أم لا » ... ما أعجب هذا الأمر ، بالنسبة إلى قديس عظيم كالقديس مقاريوس الكبير ، وبالنسبة إلى فكر روحى كزيارة السّواح ... !

لم ير القديسون في الإبطاء ضرراً ، بل فيه فائدة ...

إنهم لا ينفذون بسرعة لئلا يكون الفكر من الشيطان . وإبطاؤهم في لتنفيذ يعطيهم فرصة للتأكد ، ينتظرون فيها إلى أن يعلن الله رأيه في الموضوع . وهم في ذلك يقولون تلك العبارة الجميلة :

الذى من عند الله يثبت . والذى ليس من الله يزول .

وهكذا نرى أن القديس الأنبا غالليون لما ظهر له الشيطان في هيئة راهب ، وقال له إنه أحد السواح ، وأن زملاءه السواح قد ضموه إلى صحبتهم ، ودعاه للسير معه . وأطاعه الأنبا غالليون ، دون أن يأخذ فرصة لعرض الأمر على الله وعلى أب الاعتراف ... حدث أن اشياطين الذين ظهروا في هيئة سوّاح أتاهوه في البرية ، ثم تركوه وهم يهزأون . وقالوا له « ستموت هنا وحدك ، في هذا القفر » لولا أن الله أنقذه ... هناك حيلة أخرى للشيطان غير السرعة ، أو هي عكسها . وهى :

٩ التدرج الطويل

تتعدد وسائل الشيطان في حروبه . وقد يبدو أحياناً شيء من تناقض بين أسلوب وآخر . ولكن يجمعها كلها هدف واحد ، وإن كانت الوسيلة تختلف بحسب نوعية الحالة ... وعموماً فاشيطان لا يحب الوتيرة الواحدة لئلا يألفها الناس .

فهو أحياناً يضرب ضربة سريعة فجائية ، لا يكون الشخص مستعداً لها .

وأحياناً يسير في تدرج طويل ، بحيث لا يشعر به صاحبه ...

والتدرج يلزمه وقت قد يطول . ولكن اشيطان لا يهيم الوقت ، إنما يهيم السقوط . والتدرج يصلح غالباً للأشخاص الذين لا يقبلون خطية معينة بسهولة . ولكنه يوصلهم إليها تدريجياً في هدوء ، بجرعات قليلة ، أو قليلة جداً ، تزداد بالوقت ، حتى تقضى عليهم .

وقد يقسم الخطية إلى مراحل . كل مرحلة تثبت أقدامها بالوقت .

وربما تكون الخطوة الأولى إلى الخطية ، ليست خطية على الإطلاق ، ولا تتعب الضمير . فالمرحلة الأولى في سقوط داود النبي ، كانت في عدم خروجه إلى الحرب

بنفسه: يرسل الجيش ويبقى هوفى بيته. والمرحلة الثانية كانت شيئاً من الترف دخل إلى حياته، بعد أن كان مشرداً من برية إلى برية أيام مطاردة شاو ملك له... وهاتان المرحلتان عبرهما داود دون أن يشعر بخطأ.

ولكن عوامل نفسية كانت تأخذ مجراها داخله وتفقدته حرارته الروحية. ثم دخل في مرحلة ثالثة وهى الإكثار من الزوجات. وكان محلاً في أيامه، ولكنه بلا شك هبط به إلى مستوى الجسد. وإن كان مستوى الحلال، ولكن ليس مستوى الكمال. وصار للجسد سيطرة عليه شعر أو لم يشعر.

المرحلة الرابعة، أنه صعد إلى السطح، يتمشى ويتفرج، ولا مانع من أن ينظر إلى مساكن غيره، ويبصر خصوصيات الناس. وهنا بدء انحراف.

المرحلة الخامسة، كانت ضربة شديدة من الشيطان أوقعت رجل المزامير العظيم في مخيلة الشهوة، ثم في خطية الزنا.

المرحلة السادسة، كانت التورط، الذى أراد به إخفاء خطيئته بجمة من الخطايا أفقدته روحانيته، وهبطت به من سماء إلى أسوأ.

وربما هذه المراحل، كان الشيطان يعد لها منذ زمن ...

إنه يحب - حينما يضرب الضربة - أن تصيب مقتلاً. وهذا يتطلب منه أحياناً تمهيدات طويلة المدى. بحيث حينما يأتى، يجد البيت مزيناً مفروشاً، مهياً لعمله، ويجد الضحية جاهزة بلا مقاومة... وحتى إن قاومت تكون بلا قدرة على الإطلاق، فتسقط أمامه بسهولة!

قصة يعقوب المجاهد :

إنها تشبه قصة سقوط داود، فى أنها مثلها تعطينا فكرة واضحة عن خطة الشيطان فى أسلوب التدرج الطويل. وفيها استطاع أن يسقط ناسكاً عظيماً، وقديساً له موهبة إخراج الشياطين. ولكن الشيطان هنا أمكنه أن يضرب القديس ثلاث ضربات قاتلة، وكاد يهلكه لولا أن رحمة الله إقادتته إلى التوبة. فكيف حدث ذلك؟

فتاة (إبن ملك)، صرعها روح نجس. وعجز الكل عن إخراجه، فأتوا بها إلى

القديس يعقوب المجاهد . فصلى عليها فخرج الروح النجس . ولكن ما أن رجعت إلى بلدها حتى عاد إليها مرة أخرى . فسافروا وأتوا بها إلى القديس ، فصلى عليها فخرج الروح . ولكن ما أن رجعت إلى بلدها حتى عاد إليها . فسافروا إلى القديس مرة ثالثة . وتكررت لعبة الشيطان مرات عديدة ، حتى يشوا من كثرة الأسفار .

وأخيراً ، قرر الملك أن تبقى الأميرة إلى جوار القديس . فبنوا لها حجرة . وكان الشيطان كلما يصارعها يدخنونها إليه . وتطور الأمر إلى أن أبقيها معه . ولما اطمأنوا على هدوئها تركوها معه . ومضوا ...

وبمرور الوقت تكونت دالة بينها ، تطورت إلى الخطيئة . ثم حلت الفتاة منه . ورأى أن الخطيئة ستتكشف وتضيع سمعته ، وربما يقتله الملك . فوسوس له الشيطان أن يقتلها ، فقتلها ودفنها في مكان بعيد في الصحراء .

ومرت شهور ، وجاء رسل الملك للإطمئنان عليها . ولما سألو القديس ، أخفى جرمته الثانية بالكذب . وقال لهم صارعها الشيطان مرة ، فانطلقت بسرعة هاربة في الجبل ولم أستطع اللحاق بها ، واختفت ... وصدقوه لأنه لم يكن موضع شك .

وهكذا ضربه الشيطان ثلاث ضربات ، وأوقعه في الزنا والقتل والكذب . كل ذلك في تدرج طويل ، ما كان أوله يوحى مطلقاً بأخيه . ولكنها حيل الشيطان الذي يسبك مكيدته في صبر عجيب .

وسياسة التدرج هذه لها حكمة كبيرة وهي : في كل خطوة يقترب الإنسان إلى جوار الخطيئة ، ويعتاده ، ويضعف . إرادته تكون قوية جداً ، وهو خارج مجال الخطيئة . وقد يكون نافراً جداً من كل مجالاتها . وبالوقت يألفها ، ولا تصبح غريبة عليه . وبالتدريج تدخل إلى فكره ، ثم إلى مشاعره . وفي كل خطوة تضعف إرادته عن المقاومة أحسن أو لم يحسن ...

ومن أمثلة التدرج الطويل موضوع العادات . كل عادة مهيمنة على الإنسان ، لم تبدأ هكذا مطلقاً . وربما كان هو المسيطر عليها أولاً ويستطيع إبطائها . ولكن بالتدرج الطويل فقد سيطرته ، ثم سيطرت هي عليه . وربما الشيطان في أول خطوة ، قال له عبارة واحدة وهي جرب أو اختبر ... الحياة كلها خبرات . ولأمر كله بيدك ، تستطيع أن تمتنع وقتما تشاء . وظل به هكذا إلى أن أتى

الوقت الذى فيه سلم إرادته بالتام ولم يعد يقاوم ، بل لا يشاء أن يقاوم !!

على أن التخلص من العادات ممكن لمن يريد .

الشیطان قد يقول لك لن تستطيع . وإن استطعت ستعود إليها مرة أخرى . إنها ضمن حرب اليأس . ولكن لا تستسلم . فإن العادة تكونت نتيجة عمل إرادى متكرر . ويمكن أن تتخلص منها بعمل إرادى عكسى متكرر ، أى تثبت فيه . ونصيحتنا لمقاومة سياسة التدرج هذه من جانب الشيطان ، أن تبعد عن الخطوة الأولى ، بكل حزم ، مهما كانت تبدو بريئة ، أو يقنعك الشيطان بأنها بريئة .

واحترس من كذبه ، إن قال لك إنها خطوة واحدة ولن تتطور .

إن الشيطان لا يقبل على نفسه أن يتركها عند حدود الخطوة الواحدة ، دون أن يتقدم بها باستمرار نحو أغراضه البعيدة ... فاحترس منه . بل احترس حتى من الخطوة الأولى ، وليس فقط من تطورها ، مهما بدت هذه الخطوة فى نظرك من الأمور الصغيرة . وها أذكرك من حيل شيطان ماکر ، هو شيطان الأمور الصغيرة .

١٠. الأمور الصغيرة

هذا يحذرننا منه سفر النشيد قائلاً « خذوا لنا الثعالب ، الثعالب الصغيرة ، المفسدة للكروم » (نش ٢ : ١٥) . وهنا نجد تحذيراً هاماً وهو : مع أنها صغيرة ، إلا أنها مفسدة للكروم .

أول خطر لهذه الثعالب الصغار أنها تستطيع الدخول إلى النفس . الثعالب الكبيرة ربما لا تجد فتحة مناسبة لها فى سياج البستان تدخل منها . أما الصغيرة فدخلها سهل . الخطايا الكبيرة ربما يحترس منها الإنسان جداً ، ويتعذر عنها ، وينفر منها ، لذلك فالشيطان قد يؤجل محاربته بها ، مادام هو متنبهاً لها . أما الأمور الصغيرة ، فيحاربه بها :

يحاربه بها ، لأنه لا يحترس منها ، ولا يهتم بها .

تقول لإنسان مثلاً : إحذر من العشرات . فيقول لك فى استغراب : « عشرات ؟ !

وهل مثل يخاف من هذه الأمور الصغيرة؟! إنها قد تحارب الصغار أو المبتدئين . أما نحن فقد كبرنا عن أمثال هذه الأمور... هذا يحاربه الشيطان بها... من كان يظن أن أبانا إبراهيم حبيب الله ، يخاف ويقوى عن زوجته ساره إنها أخته ، فيأخذونها ويستبقونه؟! لاشك أن الخوف والكذب من الأمور الصغيرة بالنسبة إلى رجل روحاني عظيم مثل أبينا إبراهيم أبى الآباء والأنبياء...!

إن تنجيس الإنسان لا تلزمه خطية كبيرة مثل الزنا ، إنما يكفي لذلك خطية من اللسان الذي « يندس الجسم كله » (يع ٣ : ٦) . إنه « عضو صغير » ولكنه « عالم الإثم » ، « شر لا يُضبط ، مملوء سمّاً مميتاً » (يع ٣ : ٥ - ٨) . إنه ينجس الإنسان ، كما قال الرب « ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ، بل ما يخرج من الفم ينجس الإنسان... أما ما يخرج من الفم ، فن القلب يصدر . وذلك ينجس الإنسان » (متى ١٥ : ١١ ، ١٨) . والعجيب أن خطية اللسان يقتنعك الشيطان أنها من الأمور الصغيرة .

حقاً إن شيطان الأمور الصغيرة ، يمكن أن يهلك الإنسان .

ليمكن أن تفرق سفينة بسبب ثقب صغير في قاعها ...

والإنسان لا يشترط أن يكون موته بواسطة وحش كبير يفتسه ، إنما يكفي لموته ميكروب صغير لا يرى بالعين المجردة... لقد قال السيد الرب في عظته على الجبل : « ومن قال يا أحمق ، يكون مستوجب نار جهنم » (متى ٥ : ٢٢) .

ما أسهل أن يقتنعك الشيطان بأن كلمة (أحمق) وأشباهاها هي من الأمور الصغيرة! وربما كان حنانيا وسفيرا يظنان أن خطيتها أيضاً هي من الأمور الصغيرة ، وقد هلكا بها (أع ٥ : ١ - ١١) . وربما ظن سليمان أن زواجه بالأجنبيات هو من الأمور الصغيرة ، وقد رأينا نتائج الخطيئة جداً على خلاص سليمان نفسه (١ مل ١١ : ١١ - ١١) .

إن « الأمور الصغيرة » قد لا تكون صغيرة فعلاً .

الشيطان يسميها هكذا ، ولكنها قد لا تكون كذلك ... وربما توصل إلى أخطر النتائج ، كما حدث مع سليمان وداود وحنانيا . وقد تتحول هذه الأمور الصغيرة إلى أشياء خطيرة جداً...

إن الله يختبر إرادتنا بأى اختبار مهما بدا بسيطاً ، لكنه يكشف نفسيتنا من الداخل ، كما اختبر آدم وحواء شجرة من ثمار الجنة .

فما هي هذه الأمور الصغيرة ؟ ما أمثلتها ؟

ربما تكون مثل تمسك الإنسان برأيه ، وعدم إستشارته لأحد . وقد يقول له الشيطان « وماذا فى ذلك ؟ أى خطأ فيه ؟ وهل لابد أن تستشير ؟ وهل عقلك لا يكن ؟ ! » . وقد تكون الأمور الصغيرة مثل قليل من التساهل مع الخواص والقراءات والساعات ... أو عدم التدقيق فى الكلام ، أو عدم لوم النفس فى كل أخطائها .

طريقة الخلاص من شيطان الأمور الصغيرة هي حياة التدقيق .

كذلك التمسك بفضيلة « الأمانة فى القليل » فالرب يقول « لأمين فى القليل ، أمين أيضاً فى الكثير » (لو ١٦ : ١٠) .

تحدثنا عن الأمور الصغيرة . ومن حيل الشيطان أيضاً :

« التأجيل »

إن الشيطان يريد بكل جهده أن يمنعك عن العمل الروحى .

أما إن وجدك مصراً على العمل ، فإنه يدعوك إلى التأجيل .

يقول لك : لماذا الإسراع ؟ الأمر فى يدنا نستطيع أن نعمله فى أى وقت . ربما التريث يعطينا فكرة لفحص الأمر أكثر ، أو لاختيار أسهل السبل الموصلة إليه ، أو يعطينا مزيداً من الإقتناع ... على أية الحالات عندنا بعض أمور هامة فى أيدينا ، ننتهى منها أولاً . ثم نأتى إلى هذا الموضوع .

والمقصود بالتأجيل هو إضاعة الحماس للعمل ، أو إضاعة الفرصة ، أو ترك

الموضوع فترة لملك تنساها ، أو يحدث ما يغطى عليه ...

كان تأتيك مشغولية كبيرة تأخذ كل اهتمامك ووقتك ، أو يحدث حادث يعطلك ، أو تحدث عوائق معينة تضع صعوبات أمامك فى التنفيذ ، أو يلقي الشيطان فى طريقك بخبطة تفتربها حرارتك الروحية ، فلا تنفذ ما كنت قد نويت عليه وأجلته ...

نتذكر أن الإبن الضال لما أتاه الشعور أن يقوم ليذهب إلى أبيه ، قام فعلاً وذهب

(لو ١٥ : ١٨ ، ٢٠) . ولو أنه أجل ، ما كنا نضمن كيف تنتهى قصته .

ومن أمثلة مضار التأجيل ما حدث لفيلكس الوالى والملك أغريباس :

بينما كان القديس بولس الرسول يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون ، إرتعب فيلكس وقال بقديس بولس « أما الآن فاذهب . ومتى حصل لى وقت أستدعيك » (أع ٢٤ : ٢٥) . وبالتأجيل ضاع التأثير الذى كان عند فيلكس هذا . ولم يحصل له وقت ، ولم يستدع بولس .

كذلك أغريباس الملك ، بينما كان القديس بولس يترافع أمامه . قال له : أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء ؟ أنا أعلم أنك تؤمن . فقال أغريباس لبولس « بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً » . وبالتأجيل ، لم يحصل أغريباس على هذا القليل ليقتنع . ولم يذكر الكتاب أنه آمن .

ربما إحدى زيارات النعمة تدعوك ، فإن أجلت ضاع تأثيرها .

إن الفرصة فى يدك . والحماس فى قلبك ، فاعمل عمل ارب ولا تتهاون ولا تؤجل ، لأن التأجيل ربما يكون خطوة إلى الإلغاء . والشيطان يقصد به ذلك . إنه لا يريد أن يمنعك فى صراحة . ولكنه فى لباقة يمنعك فعلاً ... بالتأجيل . فاحترس منه .

لا تؤجل التوبة ، ولا الصلاة ، ولا عمل الخير جملة .

والكتاب يقول « لا تمنع الخير عن أهله ، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله . لا تقل لصاحبك : أرجع فأعطيك غداً ، وموجود عندك » (أم ٣ : ٢٧ ، ٢٨) .

هذا عن عمل الخير من نحو الغير . وكذلك من نحو نفسك . فكما يتكلم روح الله فى داخلك . لا تؤجل الإستجابة لندائه . فالرسول يقول أكثر من مرة « إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم » (عب ٣ : ٧ ، ١٥) .

إذن التأجيل لون من ألوان قساوة القلب .

واشيطان يدعوك إلى هذه القساوة ، فيما يدعوك إلى التأجيل ، أو هو يجعلك تعتاد قساوة القلب لتستمر بعيداً عن الله .

ومن ضمن الوسائل التى يقدمها الشيطان كسبب للتأجيل : المشغولية .

بمشغوليات كثيرة يريد الشيطان أن يعطلك عن أى عمل روحى تعمله . هو لا يريدك مطلقاً أن تجلس مع الله ، أو أن تجلس مع نفسك . لأنه يخشى أن هذا الأمر يفصلك عنه ويلصقك بالله ، وهذا أخشى ما يخشاه ...

فإن رآك الشيطان سواظاً على صلواتك وقراءاتك ، ومواظباً على الاجتماعات الروحية وكل وسائل النعمة التى تنمى عبة الله فى قلبك ، حينئذ يحاربك بالمشغولية . وتكون إما مشغولية مؤقتة لتعطيل عمل معين ، أو مشغولية دائمة ، وهذه أخطر ...

قد تكون المشغولية عملاً إضافياً ، يأتيك منه ربح مادى .

بحيث لا توجد معه وقتاً تتفرغ فيه لله . ويقنعك أن هذا العمل لازم جداً لمعيشتك ولا يمكنك الاستثناء عنه . ومثل ذلك أيضاً ما يعرضه على البعض من دراسات عليا ، أو بحوث ، لتحسين مستواه العلمى ، بحيث ينتهى من بحث ليجد آخر أمامه ...

وقد تكون المشغوليات التى يقدمها خدمات كنسية تعطل وقت الصلاة .

الذى يرفض المشغوليات المادية ، يقدم له خدمات كنسية ، ويقنع ضميره بأهميتها . ونحن لا نعارض الخدمة ، إنما المقروض أن تكون فى حدود معينة بحيث لا تعطل الصلاة ولا التأمل ولا القراءة الروحية ، ولا الصلة الخاصة بالله .

ليس فقط من أجل روحانية الخادم ، بل أيضاً لنجاح الخدمة .

فالخادم إذا كثرت مشغوليته بحيث تفتّر معها روحياته ، لا تكون خدمته ناجحة ولا يكون لها تأثير قوى . لأن جفاف حياة الخادم الروحية ، يجعل خدمته روتينية أو عقلانية ، لا تدخل إلى أعماق القلب ، ولا تخاطب الروح ...

وما أكثر الخدام الذين تجدهم مشغولين كل الوقت بأنواع أنشطة لا تنتهى ، ولا يجدون وقتاً يصلون فيه صلاة ، أو زمزماً ، أو ينفردون فيه مع الله . يعيشون على الرصيد الروحى القديم الذى كان لهم ، دون جديد يضيفونه إليه . وحياتهم مهددة بالضياع ...

هنا الشيطان لا يحارب العمل الروحى . ولكن لا يعطيه وقتاً .

لا يمنعك من الصلاة ولا من التأمل والقراءة ، ولا من الترتيل والتسبيح ، ولا من

الطائيات ولا من محاسبة النفس ، بل قد يجعلك تلقى دروساً ومحاضرات عن هذه الوسائط الروحية وفائدتها . ولكنه لا يترك لك وقتاً لممارستها . وتصيح - كما قال أحد الأدباء الروحيين - مثل الأجراس التي تدعو الناس إلى دخول الهياكل ، دون أن تدخّل هي إلى الهياكل ! حقاً ما أجل قول أحدهم « قضيت عمرك في خدمة بيت الرب ، فتي تخدم رب البيت ١٩ » ...

هذا بالنسبة إلى الخدام . أما الأشخاص العاديون ، فما أكثر مشاغلهم . هناك مشغوليات الزيارات ، والأحاديث والجدل والمناقشات . ومشغوليات الجرائد والمجلات ، والأخبار والتعليق عليها . ومشغوليات النسلية وهي كثيرة تشمل الكبار والصغار . أنظر إلى مباريات الكرة مثلاً ، وتأمل كم تأخذ من وقت الناس ومن مشاعرهم ومن حماسهم ومن تعليقاتهم ... ! وهناك أيضاً المشغوليات الفكرية ، والاجتماعية ، ومشغوليات المشاكل وهموم العالم الحاضر ، والمشغوليات المالية والإقتصادية ...

حتى الأطفال تشغلهم برامج التلفزيون ، ورواياته ، وقد تعطلهم عن الكنيسة . والكبار أيضاً تشغلهم هذه البرامج وتعطلهم !

إن الله يطل من سمائه على العالم ، فيجده عاماً مشغولاً .

إنه عالم يجري بسرعة ، لا يجد وقتاً يتوقف فيه ليفكر إلى أين هو ذاهب ... ! وهو أيضاً عالم صاخب ، كله أحاديث وضوضاء ومناقشات وانفعالات ... وأين الهدوء اللازم للعمل الروحي ؟ غالباً ما تبحث عنه فلا تجده ... !

حتى أن كثيراً من رجال الإكليروس الذين كرسوا أنفسهم للرب ، وأصبحوا « نصيب الرب » ، تجدهم أيضاً مشغولين عن الرب بأمر كثيرة ! إن حرب (مرثا) حرب قائمة ودائمة ، كما يبدو في عالمنا الحاضر « أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ، والحاجة إلى واحد » (لو ١٠ : ٤١ ، ٤٢) . أما أنت يا ابن الله وصورته ، فينبغي أن يكون لك الطابع الروحي .

ليكن الله في مقدمة مشغولياتك ، إن لم يكن شاغلك الوحيد .

عملك الروحي ، وصلتك بالله ، وحياتك الروحية ، ينبغى أن تكون باستمرار في مقدمة مشغولياتك وفي توزيع وقتك ، وبعد ذلك كل شيء . ضع خلاص نفسك أولاً ،

وأبديتك أولاً . ثم رتب باق مسؤولياتك مهما كانت أهميتها . وتذكر في ذلك قول الرب :
 ماذا ينتفع الإنسان ، لوريج العالم كله وخسر نفسه ! « (متى ١٦ : ٢٦) .
 وإن خسرت نفسك ، ماذا تعطى عوضاً عن نفسك ؟! وكل أولئك الذين ماتوا
 وتركوا هذا العالم ، بماذا نفعهم مشغولياتهم ؟! ولما تركوا هذه المشغوليات بموتهم ، هل
 ارتبك العالم ؟ كلا ، طبعاً . هذا العالم قال عنه الحكميم :
 « الكل باطل وقبض الريح . ولا منفعة تحت الشمس » (جا ٢ : ١١) .

إبدأ صباحك بالله ، قبل أية مشغولية أخرى . ليكن الله « في البدء » . قل له « يا
 الله أنت إلهي . إليك أبكر . عطشت نفسي إليك » (مز ٦٣ : ١) . ونظم وقتك ،
 بحيث لا تطفى أية مشغولية على الوقت الذي تقضيه مع الله . ولا تخرج من منزلك قبل
 أن تقوم بكل واجباتك الروحية . ولا تجعل شيئاً يفوق روحياتك مهما كان ربحه ، ومهما
 كانت قيمته أو أهميته ...

إن الشيطان دائماً يضحّم في أهمية المشغوليات التي تعطلنا .
 أو يضحّم في إغرائنا بهذه المشغوليات . ولكن لا يوجد مطلقاً ما هو أهم من الله في
 حياتك . ولا يصح أن تضحي بعلاقتك مع الله من أجل أى شيء ، أو أى شخص ، أياً
 كان . هوذا الرب يقول « من أحب أباً أو أمّاً ... أو ابناً أو ابنة أكثر منى ، فلا
 يستحقني » (متى ١٠ : ٣٧) . فكم هي أقل ، باق الأمور !

لذلك إن أنتك مشغولية جديدة ، فكرر كثيراً قبل قبوطها .
 لأن الشيطان قد لا يكتفى بمشغولياتك الحالية التي تعطلك ، فيحاول أن يضيف إليها
 مشغوليات أخرى ، لكي ترتبك ... ويقدم لك في كل يوم عروضاً ربما تكون سخية ،
 ليشغلك بها . فما أنت فكن محترساً . وضع روحياتك أمامك ، قبل كل المشغوليات ...
 إن كانت المشغولية حيلة من حيل الشياطين ، لتبعدك عن الله ، فهناك حيلة
 أخرى أكثر مكرراً ، وهي :

٣٣ الفهم الخاطئ لمحبة الله

لا يناقش أحد في محبة الله لنا ، وفي أهمية محبتنا له . ولكن الشيطان قد يقدم

مفهوماً خاطئاً لهذه المحبة . بحيث أنه يمكن للإنسان أن يخطئ كما يشاء ، معتمداً على محبة الله ورحمته ومغفرته ، ومعتمداً على الخلاص الذي قدمه على الصليب !

وكان محبة الله تقود إلى الاستهتار وإلى التراخي !

حاشا ، فإن الكتاب يقول « ثم تستين بغنى طفله وإمهاله وطول أناته ، غير عالم أن لطف الله إما يقتادك إلى التوبة . ولكذك من أجل قساوتك وقلبك غير الثائب ، تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب ... » (رو ٢ : ٤ ، ٥) . ويقول أيضاً « هوذا لطف الله وصراسته . أما اصرامة على الذين سقطوا . وأما اللطف فلك إن ثبت في اللطف ، وإلا فأنت أيضاً ستقطع » (رو ١١ : ٢٢) .

إن الشيطان يقدم محبة الله ، بأسلوب يضع مخافته !

ويستغل إلى أبعد الإستغلال - بتفسير خاطئ - قول القديس يوحنا « لا خوف في المحبة . بل المحبة الكامنة تطرح الخوف إلى خارج » (١ يو ٤ : ١٨) . وهكذا يحاول أن يج غافة الله من قلوب الناس باسم محبة ، بينما لكتاب يقول « رأس الحكمة مخافة الرب » (مز ١١١ : ١٠) .

هنا وأستاذنكم في طبع كتاب لي عن (مخافة الله) ، وعلاقة هذه المخافة بالمحبة . كنت قد جهزته منذ أكثر من عام ، وأعلنت عنه ، ثم أرجأت طبعه . وفي صميمي أرى نشره لازماً ، لأن كثيرين يستغلون محبة الله إستغلالاً خاطئاً يبعدون به عن الحرص الروحي ، وربما يقعون به في اللامبالاة . وكل هذا من حيل الشياطين !!

حقاً إن الله يحب جداً وغفور ، ولكنه أيضاً عادل وقديوس .

وإن كان الله غير محدود في محبته ، فهو أيضاً غير محدود في عدله ، وغير محدود في قداسته . وقداسة الله لا تقبل الخطية . وعدله يعاقب عليها ... هذا من جهة محبة الله لنا . وماذا عن محبتنا نحن لله ؟

الشيطان يصوّر محبتنا لله ، كمجرد مشاعر ، لا أكثر !

بينما محبتنا لله هي في مفهومها السليم ، محبة العملية « لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل وحق » (١ يو ٣ : ١٨) . ومن يحب الله ، لا يخالفه ، لا يعصاه ، لا يفعل ما يفضبه . ولذلك إرتبطت محبتنا لله بطاعته وحفظ وصاياه . والرب قد قال

«إن حفظكم وصاياي، تثبتون في محبي» (يو ١٥ : ١٠)، «إن أحبني أحد يحفظ كلامي» (يو ١٤ : ٢٣). وقد قال القديس يوحنا الحبيب «هذه هي محبة الله، أن نحفظ وصاياه» (١ يو ٥ : ٣). ومحبتنا لله، معناها أننا لا نحب العالم وكل شهواته. لأن الكتاب يقول «إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب» (١ يو ٢ : ١٥). ويقول أيضاً «محبة العالم عداوة لله» (يع ٤ : ٤).

فلا يندعنك الشيطان ويقول لك : يكفي أن تحب الله، وأفعل ما تشاء !
ويقصد تفعل ما تشاء من الأخطاء أو التقصيرات ! إن هذا فكر شيطاني، يقصد به أنك لا تلوم نفسك على أخطائك، وبالتالي تبقى فيها غير شاعر بأهميتها ! كما أنه يصور المحبة بمفهوم خاطيء، كأنها مجرد مشاعر، بلا عمل يدل عليها. وهو بهذا يهز القيم الروحية في نظرك...

حيلة أخرى من حيل الشياطين هي :

١٤ مزالمة المبادئ والقيم

الشيطان يشن على العالم الآن حرباً فكرية، يريد بها أن يقدم مبادئ جديدة ومفاهيم جديدة، تخدم أغراضه التي يريد بها.

وفي هذه الحرب يحاول أن يهدم القيم والتقاليد، وكل المسلمات. يشكك الناس فيها كلها. ويتم كل من يتمسك بالتقاليد القديمة، بأنه رجعي أو متخلف، أو «دقة قديمة» غير متحضر!! كما لو كان القديم سئاً ينبغي التخلص منها ! إنها ثورة من الشيطان على القيم، وعلى العقائد أيضاً.

يريد الشيطان أن يكون تياراً عاماً خاطئاً، كل من لا يسلك بمفاهيمه، يهاجمه المجتمع ويتهم عليه ! حتى أصبح كثير من المسلمات موضع جدل ونقاش ! ما هي الفضيلة ؟ وما هو الدين ؟ وما هي الحقوق وما هي الواجبات ؟ بل ما هي العلاقة بين الأب وابنه في مفهوم الحرية ؟

لقد أعطى الشيطان في جيلنا مفهوماً منحرفاً للحرية...

أراد في هذا المفهوم أن يقنع الإنسان بأنه حر يفعل ما يشاء، ويعتق ما يشاء من

أفكار أو عقائد ، وينشرها ، بلا أى قيد على الإطلاق ، مهما كانت آراؤه أو معتقداته أو تصرفاته خاطئة ، ومهما كانت خطرة على المجتمع ... !
والمعروف أن الحرية المطلقة لا يوافق عليها أحد ...

فالإنسان له أن يمارس حريته ، بحيث لا يعتدى على حريات وحقوق الآخرين ، وبحيث لا يسئ إلى المجتمع ، ولا يحطم ما فيه من قيم وأخلاقيات .
أما أن يمارس حرية بلا شروط ولا تحفظات ، فإن الحرية حينئذ ستكون مجالاً للإباحية والإستهتار ، ومجالاً للانحراف الفكري ، دون ضابط !

وإن كان الله قد منح الإنسان حرية ، فإنه وضع له إلى جوار هذه الحرية وصايا ينفذها . كما أن الله سيحاسب الإنسان على مدى استخدامه لهذه الحرية ، ويعاقبه إن كان قد أساء بها إلى نفسه أو إلى غيره .

والحرية المطلقة التي يدعو إليها الشيطان ، لها أخطار سلوكية وعقائدية :
فالأخطار السلوكية نذكر كمثال لها الحرية التي أراد أن يسلك بها الهيبز والبيتلز وبعض الوجوديين الملحدون . بحيث لا مانع من أن يسيروا عراة في الطريق العام ، أو أن يمارسوا اجنس بلا خجل ، ويتغذشوا حياء المجتمع ... !
ومثال لهذه الأخطاء أيضاً كل المناهج الإباحية ، وكس العشرات التي يصادفها المجتمع ، وتدفعه دفعاً إلى الفساد . ولا مانع عند الشيطان من ذلك ، باسم الحرية . وفي الواقع هذا خداع . فهناك مفهوم سليم للحرية من الناحية الروحية ...

فالحرية الحقيقية هي أن يتحرر الإنسان من الداخل ، من الأخطاء :
يتحرر من الشهوات والرغبات الخاطئة ، ومن العادات المسيطرة عليه التي تفقده حرية إرادته . أما إن حقق الإنسان رغباته ونزواته بكل ما فيها من انحراف ، واستمر مستعبداً لها ، خاضعاً للجسد للمادة التي تقوده ، فإذا ستكون النتيجة إذن ؟ !

حتماً إن العالم المستعبد لنزواته سيصل إلى كراهية الله الذي يقف ضد هذه النزوات . وهذه هي خطة الشيطان الماكرة !

أن يسمى إلى أن يكره الناس الله ، ويعتبرونه عدواً لهم ، لأنه يضيق حرياتهم ، ويلغى وجودهم ، ويقف ضد رغباتهم ... ! وبدلاً من أن يصححوا رغباتهم ويصيروا أنقياء ، فإنهم يتمسكون بهذه الرغبات ويعادون الله بسببها !

والشيطان أيضاً ينشر حرية بلا قيد في الفهم اللاهوتي .

بحيث أن كل إنسان يفسر الكتاب كما يشاء ، ويفهم منه ما يشاء ، وينشر ما يفهمه . وهذا تتبيل الأذهان وسط مفاهيم خاصة . وأمكن بهذه الحيلة أن توجد مئات المذاهب داخل المسيحية . سببها هذه الحرية الحاطئة التي يقولون فيها إن كل إنسان له حرية الاعتقاد دون الخضوع لسلطة دينية !!

إن الكنيسة لها إيمان واحد . وليست هي مجموعة متناقضات .

هذا الإيمان الواحد عَمَّ به الكتاب المقدس ، فقال « رب واحد ، إيمان واحد » (أف ٤ : ٥) . ولجمهور المؤمنين « قلب واحد ، ونفس وحدة » (أع ٤ : ٣٢) . والكنيسة هي جسد واحد ، مهما تعددت أعضاؤه ، وهذا الجسد رأسه المسيح (أف ٥ : ٢٣) . ومادام رأسها هو المسيح ، فباستمرار لها فكر المسيح (١ كو ٢ : ١٦) . وفكر المسيح واحد لا تناقض فيه .

فلماذا إذن عن حرية الاعتقاد ؟ ما حدودها ؟

نحن لا نعارض أن كل إنسان له حرية الاعتقاد . وعالم أن يعتقد شيئاً على لرغم منه . فالذي له اعتقاد الكنيسة بصير عضواً في الكنيسة . ومن ليس له عقائدها يبقى خارجاً عنها ، بكامل حريته . ويبقى للكنيسة إيمانها الواحد .

والكنيسة لا تعتدى على حرية أحد ، ولا ترغمه على الإيمان . ولكن :

ليس لأحد أن يدعى عضويته في كنيسة لا يؤمن بمعتقداتها .

وهنا يكون دفاع الشيطان عن الحرية لا معنى له . فالحرية موجودة . ولكن كل من يقبل أن يكون عضواً في كنيسة عليه أن يلتزم بعقائدها . وهذا أمر بهي . فإن لم يلتزم بعقائدها ، يكون قد خرج منها بإرادته . وينطبق عليه قول القديس يوحنا الحبيب « منا خرجوا . ولكنهم لم يكونوا منا . لأنهم لو كانوا منا ، بقوا معنا » (١ يو ٢ : ١٩) . نقول هذا ، لأنه باسم حرية الاعتقاد ، نجد أنه في بعض كليات اللاهوت ، في جهات كثيرة من العالم ، يدرس المحاضرون ما يشاءون دون الإلتزام بمقيدة الكنيسة التي ينتمون إليها ، أو التي يدرسون عقائدها . فيدخل الأستاذ في المحاضرة ، ويقول الذي يعجبه !

وهكذا وُجد في بعض الكليات أساتذة لاهوت ملحدون !!

وأفلق الشيطان ، باسم الحرية الزائفة ، أن يضرب ضربته وينجح !!
أما الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية ، الملتزمة « بالإيمان المسلّم لنا من
القديسين » (يه ٣) ، فلم تسمح بهذا مطلقاً ، بل كانت تحكم بحرم المبتدعين
والمنحرفين وإخراجهم ، لكي تبقى الكنيسة بإيمان واحد ، تسلمه سليماً للأجيال المقبلة .
وهكذا قال القديس بولس الرسول في قوة :

« إن بشرناكم نحن ، أو هلاك من السماء ، بغير ما بشرناكم به ، فليكن
أناثيا » (غل ١ : ٨) . وقال القديس يوحنا الحبيب « إن كان أحد يأتيكم ، ولا
يحيى بهذا التعليم ، فلا تقبلوه في البيت ، ولا تقولوا له سلام . لأن من يسلم عليه
يشترك في أعماله الشريرة » (٢ يو ١٠ ، ١١) . إنه حزم شديد من أكثر الرسل حديثاً
عن المحبة .

لذلك كانت الكنيسة حريصة على الإيمان ، تدافع عنه ضد أى انحراف . ولا تقبل
مطلقاً أى انحراف إيماني يدخل إلى الكنيسة باسم الحرية ! لينشر أفكاراً خاصة ... !

لذلك فإن الشيطان لا يقبل سلطان الكنيسة ، ويحارب السلطان الكهنوتي .

خذوها قاعدة ثابتة على مدى أجيال التاريخ : كل من ينحرف في عقيدته ، إذا لم
يتب ، لابد أن يحارب السلطان الكهنوتي ، أى يحارب القوة التي تحكم على الانحراف
بسلطان من الله (متى ١٨ : ١٨ ، يو ٢٠ : ٢٣) .

ولما كان الشيطان ينشر أفكاره وانحرافات في كل ميدان ، وليس في محاربة
الكنيسة وحدها ، لذلك فقد لجأ الشيطان إلى حيلة معروفة وهي :

الوقوف ضد السلطة عموماً ، في كل مجالاتها ...

ويقصد طبعاً أن يقف ضد كل سلطة سوف لا تقبل الانحراف أو الخطأ ، بل
تحاربه وتمنعه أو تعاقبه ، وذلك لكي يستمر الخطأ ...

فهو يحارب سلطة الأب في الأسرة ، دفاعاً عن شخصية الأبناء !

وهو يحارب سلطة المعلم في الكلية أو المدرسة ، لخلق جيل قوى !

وهو يحارب سلطة الدولة ، باسم الديمقراطية وحقوق الشعب !

وهو أيضاً يحارب سلطة الله ، لكي يشعر الإنسان بوجوده هو !

وبالتالي يحارب سلطة الإكليروس ، كوكلاء الله على رعيته (١ : ٧) .

الشيطان لا يريد وجود رقيب يضبط الأخطاء ويقومها .

بينما الله يقول « قد جعلتك رقيباً ... فاسع الكلمة من مى ، وانذرهم من قبلى » (حز ٣ : ١٧) . يريد الشيطان أن تبقى كل الأمور، بلا ضابط، بلا رقيب، بحرية طائشة ، كما يقول الكتاب عن عهد لقضاة : ولم يكن ملك فى إسرائيل فى تلك الأيام . وكان كل واحد يفعل ما يحسن فى عينيه » (قض ١٧ : ٦) ... كل واحد يعمل ما يعجبه ، وينشر ما يعجبه من آراء ومعتقدات . وإن وقفت ضده سلطه يهاجمها ، بل يهاجم مبدأ السلطة عموماً !! وهذه خطة الشيطان ...
ومن ضمن خطط الشيطان أيضاً :

١٥ الإنتياد للتيار العام

قد يكون التيار العام كله خاطئاً ، ويدعوك لشيطان أن تخضع لهذا التيار، وتكون مثله ! وقد يهمس فى أذنك :

الكل هكذا ... لماذا تشد أنت ، ويكون لك أسلوب خاص ؟!

والجواب أننا نتبع الحق أياً كان موقعه ، فى جانب الأغلبية أو الأقلية . فإن كانت أغلبية الناس فى خطأ ، فإننا لا نتبعها . وهكذا فعل أبونا نوح : كانت كل الناس فى عهده أشراراً ، وكان هو وحده البار مع أسرته .

ما أسهل أن تكون الغالبية كلها مخطئة ، أو الجليل كله .

الغالبية فى وقت الصلب كانت مخطئة وصاحت أصلبه أصلبه (لو ٢٣ : ٢١) . بل الجليل كله ، قال عنه السيد المسيح « جليل فاسق وشرير » (متى ١٢ : ٣٩) . وغالبية الناس أيام آخاب الملك ، كانت تعبد الأصنام ، إلا سبعة آلاف ركة فقط من بين مئات الآلاف (١ مل ١٩ : ١٨) . وفى أيام موسى النبي ، حكم الرب على الشعب كله بأنه متمرد وصلب الرقة ، ولم يدخل منه إلى أرض الموعد إلا إثنتان فقط هما يشوع بن نون ، وكالب بن يفته (عد ١٤ : ٢٠ - ٣٠) .

وإن رجل الله الثابت فى وصاياه ، هو الذى ينشد قائلاً :

سأطيع الله حتى لو أطمعت الله وحدى

ولكن الشيطان يدفع دفعاً في التيار العام بطرق شتى :

أحياناً يجعل الناس يجارون الخطأ من باب المجاملة ، أو من باب الخجل ، أو من باب التقليد ، أو خوفاً من تهكم الناس ومن تعييرهم ، أو نتيجة لضغط الظروف الخارجية وإلحاح الآخرين . أو أن يقول لهم الشيطان « هذه المرة فقط ، ولن تتكرر » ! ثم تتكرر طبعاً ... أو أن شخصاً قد يجارى التيار خضوعاً لسلطة أقوى منه أو خضوعاً لرئاسة ... وقد يجارى التيار جهلاً . وقد يقول له الشيطان :

هل من المعقول أن يكون كل الناس مخطين ، وأنت الوحيد المصيب ؟!

هل من المعقول أن كل هؤلاء لا يعرفون أين يوجد الخير والحق ، وأنت الوحيد الذى تعرف ؟! إتضع يا أخى ... (ويتضع) الأخ ! وينجرف في التيار . وقد يسير في التيار نتيجة لصداقة أو صفة خاطئة إستطاعت أن تؤثر عليه وتجذبه إلى طريقها ، كما سار سيمان الحكيم في طريق نساته (١ مل ١١ : ٤) .

وقد ينضع الإنسان للتيار نتيجة لضعف شخصيته ...

وهكذا لا يقدر على المقاومة ، أو يقاوم قليلاً ولا يثبت . والعجيب أن أهل العالم يكونون أقوىاء جداً في دفاعهم عن طريقهم الخاطيء ، وفي سخريتهم من أولاد الله الذين لا يجارونهم . ويظلون ينعتونهم بشتى النعوت ، حتى يضعف هؤلاء ويخضعون ... ! يا للأسف ...

إن أولاد الله يجب أن يكونوا أقوىاء في مبادئهم ، ثابتين راسخين ، لا يتزعزعون أمام تهكمات الأشرار . وليتذكروا قول الكتاب :

« لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة ، بل بالحرى وبخوها » (أف ٥ : ١١) .

فإن لم يستطيعوا أن يوبخوا أعمال الظلمة ، فعلى الأقل لا يشتركوا فيها ... وليكن لهم أسلوبهم المميز في الحياة ، الذى قال عنه القديس يوحنا الحبيب « بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد إبليس (ظاهرون) » (١ يو ٣ : ١٠) . وكما قيل « من ثمارهم نعرفونهم » (متى ٧ : ١٦) . وقيل أيضاً « لفتك تظهرك » (متى ٢٦ : ٧٣) . وقد قال القديس بولس الرسول عن عدم الخضوع للتيار العام :

« لا تشاكلوا هذا الدهر » (رو ١٢ : ٢) .

أى لا تصيروا شكله . لا تصيروا مثله . لأن شكلكم معروف ، فأنتم صورة لله

ومثاله . وما أجل قول الله في ذلك «نعمل الإنسان على صورتنا ، كشبهنا» (تك ١ : ٢٦) . فكيف تتنازل عن صورتك لإلهية ، لتصير كصورة عالم ساقط منحرف .

إن دانيال والثلاثة فتية ، كانوا أقوى من التيار العام .

ليس فقط في انفرادهم عنه بعبادة إلههم ، حتى لو أدى الأمر أن يلقى دانيال في جب الأسود ، ويلقى الثلاثة فتية في أتون النار... بل حتى منذ بدء تعيينهم في قصر الملك ، إذ رفضوا الطعام المكي ، ولم يأكلوا مع سائر الفتيان . وما أجل قول الكتاب «أما دانيال فجعل في قلبه أن لا يتنجس بأطياب الملك ولا بخمر مشروبه» (دا ٨ : ١) .

صمم دانيال والثلاثة فتية على هذا الأمر ، مع أنهم كانوا أسرى حرب ، وتحت سلطان ، يخدمون وهم عبيد في قصر الملك . ولكن قلوبهم وأرواحهم كانت حرة طليقة ، لا تخضع للتيار العام ، بل لمشيئة الرب .

لذلك كن شجاعاً ، وصاحب مبدأ ، وقاوم التيار العام إذا أخطأ .

لا تخضع للشيطان وكل نصائحه ، بل وكل مخاوفه . وارفض الخطأ مهما رأيت كباراً يسيرون فيه ! وإن وجدت الذين يسيرون في طريق الحق قليلين ، فلا يضعف قلبك . فهذه هي القلة المختارة . وقد قال الرب «ما أضيق لباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة . وقليلون هم الذين يحدونه» (متى ٧ : ١٤) . واعلم أنه :

لوقعت الغالبية في الخطأ ، فهذا لا يجعل الخطأ صواباً .

الخطأ هو الخطأ . ووقع الأغلبية فيه لا يبرره . والمعروف أن الصواب طريقه صعب ، وقد لا يستطيعه كل الناس ، بل القلة المتميزة بمبادئها . فإن وجدت الشيطان قد ألقى الكل في الخوف ، لا تخف أنت . وإن وجدت الغالبية تعلمت التلقّي والرياء ، فلا تكن أنت كذلك . وإن وجدت الكل قد استعملوا أساليب العالم في لُهو وترفياته ورفاهيته وأزيائه ، فلا تكن كذلك . وإن وجدت لغة الناس قد تغيرت ، وأصبحت ليست كذى قبل ، فتكن أنت بنفس لغتك الأولى .

وإن ضعفت مقاومةك للتيار ، فقل مع المرتل في المزمور :

نحنا يارب من هذا الجبل ، وإلى الأبد آمين» (مز ١٢ : ٧) .

والرب قادر أن ينجيك من التيار العام ، فلا يجرفك .

حيلة أخرى من حيل الشياطين لإسقاط أولاد الله ، وهي :

منذ الخطيئة الأولى ، والشيطان يقدم إغراءات ليستقط ضحاياه . وكان أول إغراء قدمه لأبوين الأولين هو «تصيران مثل الله ، عارفين الخير والشر» (تك ٣ : ٥) . واستمر يقدم إغراءات للبشر «شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة» (١ يو ٢ : ١٦) . وقدم هذه كلها لسليمان الملك (جا ٢ : ١ - ١٠) .

وعلى اجبل قدم للسيد المسيح ثلاثة إغراءات : الخبز ، حمل الملائكة له على أجنحتها ، وكل ممالك الأرض ومجدها (متى ٤) . ورفض السيد كل هذ ، وأخزى الشيطان وطرده .

إن إغراءات الشيطان لا تسقط إلا قلباً يميل إليها ...

أو يمكن أن يميل إليها ... أما القلب القوى فإنه يرفض تلك الإغراءات ، أو قل إنها لا تغريه . إن الملكة إيزابل أرادت أن تؤثر على ياهو الملك وتغريه ، كما كان آخاب الملك تحت سيطرتها من قبل «فكحلت بالإثمد عينها ، وزينت رأسها» (٢ ص ٩ : ٣٠) . أما ياهو ، فلم يفره هذا الجمال الزائف ، بل حترقه وأمر بقتلها ...

والشيطان أحياناً ينتقى إغراءاته ، وأحياناً يحس النبض ...

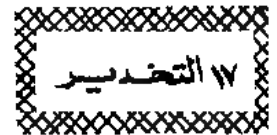
يحس النبض لكى يرى هل محاربه يضعف أمام هذ الإغراء أم لا . فإن وجده لا يهتم ولا يتأثر ، يجرب إغراء آخر ، كما فعل مع السيد المسيح ، فوجده قوياً أمام كل إغراءاته . ومن خبرة الشيطان الطويلة ، أنه ينتقى لكل نوع من الناس ما يرى أنه يناسبه ...

وقد يغرى بالشىء الذى يرى الشخص محتاجاً إليه .

كما قدم للسيد المسيح تجربة الخبز ، حينما قيل عنه إنه «جاع أخيراً» (متى ٤ : ٢ ، ٣) . وقدم تجربة العرافة لشاول الملك فى الوقت الذى رآه فيه محتاجاً الى مشورة ولم يجد (١ صم ٢٨ : ٤ - ٧) . وقدم تجربة المعجل الذهبى لبنى إسرائيل فى وقت رآه مناسباً ، وقد غاب عنهم موسى النبي ، وغاب معه الإرشاد الروحى وهيبة النبوة (خر ٣٢ : ١ - ٤) .

والشيطان يقدم الإغراء قوياً مؤثراً ، لينع التوبة والعمل الروحي .
فإن وجد إنساناً قد عزم على التوبة بكل عزم وقوة ، يقدم له خطية كان يشتهيها منذ زمن ، ويبحث عنها فلا يجدها . فيضعها أمامه فجأة تسمى بنفسها إليه من حيث لا يدري ، فيغريه بها ليسقط ... وإن كان إنسان قد أبطل قراءة كتب معينة معثرة ، لا مانع في هذا اليوم من أن يرسل إليه صديقاً ، يهديه كتاباً كان هذا (الضحية) يشتهي شراءه شهوراً طويلة ولا يجده في السوق . فيجد نفسه أضعف من الإغراء ، فيقرأ ويسقط .

وإن تاب شاب عن خطية الزنا ، يجد خطية سعت إليه سعيًا .
بحيث يظن المسكين أنها فرصة لا تعوض . ويقول له الشيطان :
لا تترك هذه الفرصة ، ويمكن أن تتوب بعدها ... !
وهكذا إن وجد الشيطان إنساناً يبعد عن الخطية ، يأتي إليه بأكبر إغراءات للخطية بالنسبة إليه . لأنه يعرف تماماً أين يوجد الجرح الذي يدوس عليه فيؤله ... فإن تبت ووجدت خطية تسعى إليك في إغراء عجيب ...
لا تقل هذه فرصة . بل قل : هذا بلا شك فعل الشيطان .
ليس هذا شيئاً طبيعياً ، ولا هو أتي عن طريق الصدفة . بل هي خطة مدبرة بحكمة من عمل الشيطان . ومبارك هو الرب الذي كشفها لي لأهرب منه ... وكما قال الراهب القديس عبد المسيح الأثيوبي المتوحد ببرية شبيث « فح يا أباقي فح » ...
نقطة أخرى بارزة في حرب الشياطين هي :



حينما يكون الإنسان متيقظاً ومتنبهاً لخلاص نفسه ، صاحباً عقلاً وروحاً ، فإنه من الصعب أن يسقط ... ولذلك قال أحد القديسين إن الخطية يسبقها إما الشهوة ، أو الغفلة ، أو النسيان . فحالة الغفلة والنسيان ، هي تحذير من الشيطان للإنسان ...

فينساق إلى الخطية ، كأنه ليس في وعيه !
ولذلك حسناً قيل في توبة الإبرن الضال إنه « رجع إلى نفسه » (لو ١٥ : ١٧) .

وكلمة (رجع) تعني أنه لم يكن في وعيه ، أو على الأقل لم يكن في كامل وعيه ، طوال فترة الخطية . ولهذا لما رجع إلى نفسه بدأ يفكر بأسلوب آخر ، يختلف عن أسلوبه في الخطية .

الشيطان يخدر الإنسان بحيث ينسى كل شيء ، ما عدا الخطية .
تكون كل حواسه وأفكاره ومشاعره مركزة في الخطية وحدها . أما كل ما عداها فلا يحس به الإنسان إطلاقاً ، وكأنه قد نسيه تماماً تماماً...
ينسى أنه صورة الله . ينسى الوصية . ينسى نتائجها . ينسى وضعه الروحي . ينسى تدريبيه الروحية . ينسى عبادته واحتراسه . ينسى وعوده الله وتعهدهاته ونذوره . ينسى إحتراسه . بل قد ينسى أنه صائم ، أو أن هذه أيام مقدسة . وينسى عقوبات الله وإنذاراته ... يكون كأنه مخدر تماماً . والشيطان قد خدعه بالخطية ، بحيث أصبح لا يعي شيئاً غيرها...

ولا يفيق إلا بعد السقوط ، حينما يكون كل شيء قد انتهى .

هكذا كان داود النبي مخدراً ، حينما أخطأ ، وجرت الخطية إلى خطية . ولم يفق من هذا التخدير إلا على صوت ناثان النبي يقول له « أنت هو الرجل » (٢ صم ١٢ : ٧) . حينئذ فقط أفاق ، وأحس كم كانت أعماق خطيئته !
لن قايين كان أيضاً مخدراً حينما قام على أخيه وقتله . ولم يفق إلا على قول الرب له « أين هابيل أخوك ؟ » (تك ٤ : ٩) . حينئذ فقط أفاق ، وشعر ببشاعة ما قد فعل ونتائجه وقال « ذنبي أعظم من أن يحتمل » (تك ٤ : ١٣) .

قد يفيق الإنسان بعد الخطية مباشرة ، وربما بعد مدة طويلة .

الإبن الضال لم يفق من تخديره ، إلا بعد أن أنفق كل ماله واعتاز ، وشعر بسوء حالته (لو ١٥ : ١٦ ، ١٧) . والغنى الذي عاصر لعازر المسكين لم يفق إلا في الجحيم . ولكن هناك من يفيق بعد الخطية مباشرة ، مثل القديس بطرس الذي بعد إنكاره بكى بكاءً مرّاً (متى ٢٦ : ٧٥) . ويهوذا لم يفق إلا بعد فوات الفرصة .

هناك من يفيق من تخديره فيتنوب . وهناك من يفيق فييأس .
الإبن الضال ، وداود النبي ، وبطرس الرسول ، لما أفاقوا تابوا .

أما يهوذا فيما أفاق ، أسلمه الشيطان إلى اليأس « قضى وحنق نفسه » (متى ٢٧ : ٣ - ٥) . ومات في خطيئته فهلك ...

لذلك هناك نصيحتان أقدمهما لك ، إذا خذرك الشيطان :
الأولى ، أن تفيق بسرعة . كما قال المثل « أنا أشيظ مبكراً » (مز ٥٧ : ٨) .
واحذر من أن تستمر مخدراً بالخطية إلى أن تصبح عادة ، أو يصير من الصعب عليك أن تفيق ، أو أن تصحو من تحذيرك بعد أن تكون قد وصلت إلى نتائج سيئة جداً ...
المصيحة الثانية : هي أنك حينما تفيق ، إنما تفيق إلى توبة حقيقية وسريعة ، وليس إلى يأس أو صغر نفس ... واستغل الدم والإسحاق لنفث الروحي .
نقطة أخرى أقولها لك في حروب الشياطين وهي :

١٨ تحويل الدين إلى فلسفة

السيد المسيح أراد أن يكون الدين روحاً وحياة .
ولذلك قال « الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة » (يو ٦ : ٦٣) . نفهم روح الكلمة ، ونحولها إلى حياة فينا . وهكذا يصير الدين طريقاً لتنقية القلب ، ومرشداً إلى الإلتصاق بالله ، ولكى تكون للإنسان حياة أبدية . ولعل هذا ما أراده الرب بقوله « أتيت لتكون لهم حياة ، وليكون لهم أفضل » (يو ١٠ : ١٠) .

ولكن الشيطان يريد أن يحول الدين إلى جدل ومناقشات ...
يريد أن العقل يحل محل الروح ، والجدل يحل محل الممارسة . وتصبح الحياة الدينية هي مجرد عقلانية . وكان المسيحية هي فلسفة تُدرّس وتُحلّل ، وتصبح مجرد منهج للتعليم ، وليس حياة نغياها . والعقل لا يضر الشيطان فى شيء إن بقى مجرد عقل لا تحركه الروح . وهذا ما يريده الشيطان ...

بودى أن أترجم لكم كتاب (هيد الأكاديميين) للقديس أوغسطينوس .
إسم كتابه Contra Acadimos ليتنى أستطيع أن أترجم لكم بعض فقرات منه كمثال . والمعروف عن القديس أوغسطينوس أن له منهجاً روحياً عميقاً .

والمنهج العقل الذى يريده الشيطان ، حاربه القديس بولس الرسول .

وهذا واضح جداً في الأصحاحين الأولين من رسالته لأوون إلى أهل كورنثوس ، فهو يقول « أثبت ليس بسمو الكلام أو الحكمة » ، « وكلامي وكرازق لم يكونا بكلام الحكمة (الإنسانية) المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة » (١ كو ٢ : ١ ، ٤) ، « لا بحكمة كلام ، لئلا يتعطل صليب المسيح » (١ كو ١ : ١٧) . فالتركيز على صليب المسيح عمل روحي ، يعطله الإنشغال بالفكر والجدل .

إن الهرطقات كانت لعبة شيطانية عقلية لتعطيل العمل الروحي .

العمق الروحي الذي عاشته الكنيسة في عصر الإستشهاد ، طوال القرون الثلاثة الأولى ، وفي أوائل القرن الرابع ، والعمق الروحي الذي كان قد بدأ بالرهينة منذ أواخر القرن الثالث ، وازدهر في القرنين الرابع والخامس ، بكل ما فيه من حب لله ، وبكل ما فيه من الإرشاد الروحي من أقوال الآباء ... كل ذلك أثار حسد الشيطان ، فأراد أن يشغل العالم بالجدل والنقاش على مدى قرنين طويلين ... وهكذا ظهرت هرطقات أريوس ، وأبوليناريوس ، وسابيلوس ، ومقدونيوس ، ونسطور ، وأوطاخس ، وغيرهم ... كل ذلك في فترة مركزة جداً دَوَّخَت العالم فكرياً . وأصبح النقاش حول لاهوت الإبن وطبيعته يدور في الشوارع حتى بين العامة . وألهم الشيطان مفاهيم للهرطقة وتفسير لآيات الكتاب . وانشغل آباء الكنيسة فترة طويلة بالرد على البدع والهرطقات .

والشيطان يتمنى أن يشغلنا طول العمر بالحوار الفكري والردود ...

وما زالت هذه هي خطته ، يرسل لنا في كل جيل من يحاول أن يحوّل الدين إلى نقاش وجدل وفكر وحوار وآراء وردود ... مريداً بهذا أن يعطل العمل الروحي من جهة ، ويثير الإنقسام والخصومات من جهة أخرى ، ولو باسم الدين ، وباسم الدفاع عن لعقيدة ، وتصبح الكنيسة مذاهب وشيعاً ، ويفرج الشيطان بهذا . من يسقطون في الهرطقات مكسب له ، ومن يتعبون من الشكوك مكسب آخر . ومن ينشغلون عن العمل الروحي بهذه السلبيات وإضاعة جهودهم في الردود ، كل ذلك مكسب أيضاً .

ولشكر الله أن الآباء الذين ردوا على الهرطقات كانوا روحيين .

تقرأ مثلاً كتاب (تحسد الكلمة) للقديس أنثاسيوس فتجده كتاب روح كما هو كتاب لاهوت وعقيدة ... ولكن كثيرين انشغلوا بالفكر ... ونحن نشكر الله أيضاً أن حركة الهرطقات والرد عليها في القرنين الرابع والخامس ، سارت معها جنباً إلى جنب

حركة الرهينة وإرشادها الروحي . فأقامت توازناً مع الدوامات الفكرية .
كان الرد على المراقبة لازماً جداً لحفظ الإيمان . ولكن كان الإنشغال بذلك
تعطيلاً للكنيسة . ولكن الله حوَّله إلى خير بتعميق الإيمان في القلوب وإزالة الشكوك .

وحق في الروحانيات البهتة ، يحاول الشيطان تحويلها إلى فلسفة .
يمكن أن يجعل حتى الصلاة مثلاً منهجاً فكرياً له قواعده العقلية . وكذلك يمكن أن
يفعل ذلك بالرهينة ويحوّلها إلى مدارس تنصارع فكرياً بين الوحدة والعمل ، والتأمل
والخدمة . ويتحول الأمر إلى نقاش وإلى صراع ، يسره الشيطان ويفرح !

حق صلاة « أبانا الذي » يحوّلها إلى صراع حول الترجمات .
وإذا بالناس وهم يصعدون يقول أحدهم « خبزنا كفافنا » ويصيح آخر بصوت
عالٍ « الذي للغد » . وتنصارع الترجمات وتبطل الأفكار ، وبدلاً من التأمل في الصلاة
بدور الجدل والنقاش أية الترجمات أصح !!
ونفس الوضع قد يدور في القدس الإلهي أيضاً : يريد الشيطان أن يقضى على
التأمل والروحانيات ، فيثير حرباً من الترجمات .

وفي داخل الكنيسة ما أسهل أن يثير أفكاراً جديدة ...
يجعل البعض يشغف بالجديد ، فيقدم تفسيراً جديداً ، أو معتقداً مغايراً للمفاهيم
العامة . ويقول صاحبه وناشره إن كل من سبقوه قد أخطأوا . وبدلاً من استخدام
الفكر الديني للحب ولنقاوة القلب ، يحوله الشيطان إلى صراع وإلى حرب بين لمتدينين
بسبب الفكر والفهم الخاص ، وادعاء كل فريق أنه يدافع عن العقيدة ! وأنه الوحيد
الصادق في إيمانه ...

أو على الأقل يعطل الروحانيين عن عملهم بالإنشغال بالسلبيات والرد عليها . وإن لم
يفعلوا ذلك ، يملأ الجوشكوكاً وببلة .
حرب أخرى من حروب الشيطان وهي :

١٩ فترة راحة من الخطيئة

إنه لا يحرب باستمرار ، إن وجد للحرب الدائمة أضراراً ...

فهو قد يبطل الحرب فترة ، ليس إشفافاً منه على من يحاربه ، وإنما لكي يجبره إلى التهاون وعدم الحرص ، ثم يعود إليه بأسلوب أكثر قساوة فيسقطه . وهذا يشعره على الدوام بعدم ثقة في القدرة على حياة البر ، ويقنعه بأنه مهما تاب ، لا بد سيعود إلى الخطيئة مرة أخرى .

أو قد يعبد الخطيئة هذه فترة ، ليشتاقي إليها .

ربما كثرة ممارسة الخطيئة تولد الملل منها وكراهيتها . فتكون خطة الشيطان أن يعيدها فترة . ثم يعيدها بعد حين بأسلوب أكثر تشويقاً ، أو أكثر حدة ، أو بأسلوب غير متوقع ، لكي يسهل السقوط فيها .

وهكذا يستخدم أسلوب المنح والمنع في المحاربة بالخطيئة .

إنه بهذا يلعب بمشاعر النفس البشرية ... ويجعلها باستمرار في حالة عدم استقرار ، ما بين عود وهبوط . وأولاد الله يدفعهم ذلك إلى مزيد من الحرص والتدقيق ، وإلى مزيد من الإلتضاع . ولكن الشيطان يريد أن يجعلهم في جو من الخوف وعدم الثقة ، والشعور بأن البر فوق مستواهم .

ثم يتدرج من الهجوم الفكري إلى هجوم عام يقول فيه : إن المسيحية ديانة سمو وكمال . ولكنه سمو غير عملي ، ليس في مستوى قدرة الإنسان أن يناله . ويخفى في كل ذلك الأمثلة التي قدمتها لنا سير الأبرار في كل زمان ...

حرب أخرى من حروب الشيطان هي :

٩٠ الفضائل الظاهرة الجسدية

يغري الإنسان بالفضائل الظاهرة الجسدية ، بدلاً من الفضائل الروحية الخفية .

ونقصد بالظاهرة ، الظاهرة لصاحبها ، وليس فقط الظاهرة للآخرين . وهذه الفضائل الظاهرة يمكن أن يلقيه بها في الإعجاب بالنفس والغرور ، أو يلقيه في احتقار الآخرين الذين لم يصلوا إلى نفس المستوى .

وهذه الحرب يحارب بها الرهبان كما يحارب بها العلمانيون أيضاً .

فإذا بدأ الراهب جهاده ، يجعله الشيطان يهتم بالصوم ، وبالطائيات ، والسهر ، والصمت ، والإعتكاف . وكلها أمور ظاهرة... وفي نفس الوقت لا يهتم بفضائل القلب من الداخل مثل الفرح والسلام والنقاوة والوداعة والهدوء... الخ

وفي الصوم يحارب بالأسلوب الجسداني ويترك الروحي .

فيجعل كل اهتمام الصائم بفترة الإنقطاع وكم تكون ، وبنوع الأكل ووجوب الإمتناع عن بعض مشتهيات ، والإقلال من كمية الماء التي يشربها . وكل هذه أمور جسدية ، ولا يشغل نفسه أبداً بالفضائل الروحية التي في الصوم مثل : انسحاق القلب ، وسمو الروح ، وضبط النفس في كل الأمور .
والشيطان يعرف أن مثل هذا الصوم الجسدي قد لا يفيد الإنسان روحياً . ويستغل هذا الأمر فيما بعد ، لكي يبعده عن الصوم كنيةً .

ونفس الوضع بالنسبة إلى الطائيات .

المهم هو عددها ، وغو هذا العدد باستمرار . أما أن الإنسان فيما يسجد ، تلصق بالتراب نفسه (مز ١١٩) كما تلصق رأسه بالتراب ، فهذا ما لا يجمله يفكر فيه ! كذلك لا يجمله يهتم بالمشاعر الروحية التي تصحب الطائيات ، وما تصحبها أيضاً من صلوات... وكل ما يقصده هو أن تتحول هذه الطائيات - على الرغم من كثرة عددها - إلى عمل جسداني يمكن أن يرهقه دون أن يفيده ، كما يلقيه به في المجد الباطل !

والوحدة أيضاً يهتم بمظهرها وليس بروحياتها .

كإنسان يحيا الوحدة كطقس ، وليس كمنهج روحي يتميز بفضائل معينة ، فيها يكون الفكر منفرداً بالله في حب ، ويكون القلب قد مات كليةً عن العالم . ولكن كثيراً ما يجعل الشيطان هذا المتوحد يقنع بمجرد سكنى المغارة والبعد عن الدير ، وملاً قلبه بالكبرياء والسخط على الدير ومن فيه ، دون الإهتمام بالعمل الروحي داخل المغارة . وكما قال ماراسحق «يوجد إنسان قد يسكن في القلاية خمسين سنة وهو لا يعرف طريقة الجلوس في القلاية» .

وما ينطبق على الوحدة ، ينطبق على الصمت أيضاً .

فالمفروض أن هدف الصمت ، هو أن الإنسان يبعد عن أخطاء اللسان ، ويعطى نفسه فرصة للحديث مع الله . أما أن يقنع الإنسان بمجرد الصمت ، فهذا عمل جسداني

ظاهر. إذ أن كل الأخطاء التي يقع فيها بلسانه، يمكن أن يقع فيها بفكره مثل الإدانة والغضب والشتيمة والحدة... الخ. فإن كان قلبه خالياً في نفس الوقت من الحديث مع الله، يكون صمته بعيداً عن العمل الروحي.

وبنفس الطريقة قد يفتح الإنسان باختيار البتولية.

ويظن أن البتولية هي ذلك العمل الظاهر الذي هو عدم الزواج. وقد تكون نفسه غير بتولة، وأفكاره دنسة. والعنصر الإيجابي في البتولية الذي هو توجيه الحب كله نحو الله، قد لا يكون موجوداً أيضاً. وهكذا يكون قد أخذ من البتولية ظاهرها، دون روحها ودون فاعليتها داخل القلب...

المفروض فينا أن نهم بالعمل الروحي الداخلي، فهو الأهم.

والرب قد قل « يا إبنى أعطنى قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦). فيبدأ الإنسان بنقاوة القلب، وبمحبة الله، وبالفضائل الداخلية. ثم من القلب التقى تخرج الصلاة النقية، والمطانيات الطاهرة، والصوم الروحاني، وكل فضيلة أخرى...
والعجيب أن المهتم بالفضائل الظاهرة، كثيراً ما يصطدم بأب اعترافه، وربما يفكر في تغييره، بينما حياته هو من الدخول ليست نقية أمام الله !

٩١ العنفة

إنها حرب يوجهها الشيطان إلى الروحانيين كما إلى الخطاة.

يدرب الإنسان على العنف تجاه كل خطأ. وبالتالي يجعله عنيفاً في مقابلة كل من يخالفه في الرأي. وقد تختفى وراء هذا العنف كبرياء وقساوة قلب.

وربما كثير من أهل العالم يتميزون بالوداعة والهدوء، بينما نجد من المتدينين من يكونون عنفاء جداً، باسم الدين، ساخطين على كل شيء، شاعرين أنهم هم وحدهم الذين يعرفون الله ويسيروا في طريقه. وهذا العنف يسقطهم الشيطان في عديد من الأخطاء التي لم يقع فيها العلمانيون. وينسيهم فضائل الوداعة واللطف التي هي من ثمار لروح القدس (غل ٥ : ٢٢).

من حروب الشيطان أيضاً :

كل عمل روحى معرض لمعطلات عديدة من الشيطان .

قد يعزم الإنسان من كل قلبه على عمل روحى . ويقف ضده الشيطان بكل قوة لكي يعطيه عن تنفيذ ما يريد . وكما يقول لرسول « الإرادة حاضرة عندى . ولكن أن أعمل الحسنى لست أجد » (رو ٧ : ١٨) . وهذه المعطلات إما أن تكون ظروفاً خارجية ، أو من نسيان ، أو من عدم توافر الوقت ، أو من مقاومات من أعداء ، أو من أخوة كذبة ... ثم باقى الشيطان ليقول :

قطعاً هذا العمل ليس من الله . وإلا كان قد سهل سبله !

أو قد يقول للناس عن هذا الإنسان الحثير : لو كان هذا لإنسان من الله ، لكان الله قد وفقه فى عمله . ويضرب عصفوريين بحجر واحد . من حيل الشيطان أيضاً لإيقاع الإنسان : الخجل .

٢٣ الخجل

الخجل فضيلة إن أحسن الإنسان استخدامها . ولكن الشيطان كثيراً ما يستخدم الخجل بطريقة تساعد على السقوط ...

كإنسان كان جالساً وسط أناس يتكلمون كلاماً رديئاً من الناحية الخلقية ، أو يتحدثون بالسوء فى سيرة إنسان له مكانته ويشهرون به ، أو يسردون قصصاً غير لائقة ... وهذا الإنسان البار الجالس وسطهم ، الذى لم يكن يتوقع كل هذا ، يفكر أن يتركهم وينسحب ... ولكن يأتبه شيطان الخجل ، ويرغمه على البقاء ... فيستمر جالساً ويمتلئ عقله بأفكار ما كان يحب مطلقاً أن تحول بذنه .

وعن طريق الخجل قد يوقع على تزكية لا يوافق عليها ضميره .

أو يوقع على أى بيان أو قرار ، هو فى داخله غير راضٍ عليه ، أو يشترك فى مديح إنسان لا يستحق ذلك ... وإن حاول أن يمتنع يقف أمامه الخجل !

وقد يجعل الشيطان فتاة تخجل من ملابسها المحتشمة .

وذلك إن كان لتيار العام غير ذلك ... أو يجعلها تحجل من تدينها بوجه عام . تحجل من الصلاة ومن الصوم ، أو من معرفة ذلك عنها ... بل قد تحجل من تعليق صليب على صدرها . أو تحجل من رفض دعوة إلى حفل معين لا تسريح له روحياتها . وبالمثل قد يحجل شاب متدين من رفض سيجارة تقدم له من زميل أو من أستاذ... وكم من خطايا يقع فيها البعض بسبب شيطان الحجل !

والمفروض أن يرفض المتدين هذا الحجل ويبعد عن مجالاته .
أو يحذ له سبباً يخرج به من الإحراج بلباقة . أو أن يكون قوى الشخصية يستطيع أن يدافع عن موقفه الروحي بإقناع الآخرين ... أو عل الأقل يبعد عن الصحبة التي تحرجه وعن المناسبات التي يتعرض فيها لحرب الحجل .
عجيب أن المتدينين يحجلون من تدينهم ، بينما الخاطئون تكون لهم جرأة وجسارة في أخطائهم وفي انتقادهم للأعمال الروحية .
حرب أخرى من حروب الشيطان هي :

٤٤ الوقت الضائع

كما أن المؤمن قد يحارب أحياناً من شيطان الحجل ، كذلك يحاربه في أحيان أخرى شيطان الوقت الضائع .

حياة الإنسان هي وقت ، يحاول الشيطان أن يضيعه .
والوقت الضائع هو الوقت الذي يمر بك بلا أدنى فائدة : لا فائدة روحية ، ولا فائدة عقلية أو صحية ، ولا فائدة للآخرين .
لا يهم الشيطان أن يجعلك فيه ترتكب خطية ... بل يكفيه أن هذا الوقت يضيع ، كجزء من حياتك بلا ثمر لك أو لغيرك .

والأمثلة كثيرة لهذا الضياع ، وهي متنوعة أيضاً .
منها أحاديث قد تطول بالساعات في موضوعات لا فائدة منها ، وتكون بلا نتيجة . ومجادلات ومناقشات لا جدوى منها سوى تعب الأعصاب وضياع الوقت . وزيارات وسهرات ، وترفيات زائدة عن الحد . ومسليات تأخذ كل الوقت وتعطل إيجابيات هامة

في حياتك . ومثل جلوس البعض في المقاهي للعب والكلام ، وقتل الوقت .
إن الذي يقبل ضياع وقته ، تكون حياته رخيصة في عينيه !

٤٥ الشيطان يستخدم أعواناً

إنه لا يعمل وحده . فله أعوان من جنده الشياطين ، وأعوان من البشر أيضاً . وربما يكون هؤلاء من أحيائك أو أقرباتك أو معارفك ، أو من الغرباء عنك .
لقد تكلم الشيطان على أفوه بعض الناس عند الصليب قائلاً للرب « إن كنت ابن الله ، نزل من على الصليب » (متى ٢٧ : ٤٠) .

وقد يستخدم أقرباك كما قيل « أعداء الإنسان أهل بيته » (متى ١٠ : ٣٦) .

فيوحى إلى أحد الأحياء إليك جداً بنصيحة تتلف حياتك . أو يجعلهم يقفون ضد عملك لروحي ، أو صد تكريسك ، أو ضد عبادتك أو يستخدمهم لتهكم عليك ...
فكر محترساً . وكل ما تسمعه من الصائغ فحصه جيداً ، وتمسك بالحسن (١ تس ٥ : ٢١) . ولكن حذر من أن تقف لأحد أقرباتك (أنت من أعوان الشياطين) .

وقد يكون أعوان الشيطان بالنسبة إليك صحبة شريرة .

وكما يقول الكتاب « المعاشرات الرديئة تفسد لأخلاق الجيدة » (١ كو ١٥ : ٣٣) . لذلك ضع أمامك باستمرار المزمور الأول . فلا تسلك في مشورة المنافقين ، وفي طريق الخطاة لا تقف ، وفي مجلس المستهزين لا تجلس (مز ١) . إن كل هذه هي مجالس الشيطان ، هو يقودها ويدبرها ...

لا تظن أن الشيطان يتراعى لك برؤى العين لكي يحاربك .

فهذه درجة عالية جداً من الحروب لا يسمح بها الله إلا للقدسين الذين يحتملونها .
فإن أراد مثلاً أن يثبرك ، يرسل اليك من يثبرك . ويكون هذا الذي أثارك من أعوان الشيطان ، على الأقل في هذه النقطة بالذات . وهكذا كل من يعثرك : كل من يقودك إلى الخطية ، أو يساعدك عليها ، أو يوقعك فيها ...

والأشرار عموماً هم من أعوان الشياطين .

كل أجهزة العبث وكل مسببات العثرات . وكل الفلاسفة الملحدون وكل دعاة الإلحاد . وكل ناشري الشكوك . وكل مسببي الشر... وعن هذا كان داود النبي ورجاله يصرخون قائلين : إبطل يارب مشورة أختيوفل (٢ صم ١٥ : ٣١) . وكانت مشورة ضارة جداً بداود ورجاله ، قدمها أختيوفل لأبشالوم في ثورته على أبيه داود... إن الشيطان إذا أراد مثلاً أن يوقع العالم في البدع والشكوك ، فلا يعنى هذا بالضرورة أن يفعل هذا بنفسه ، إنما يقدم هذه البدع إلى العالم عن طريق أعوانه من البشر ، ينشرونها ويشرحونها للناس ، ويدعونهم إلى اعتناقها..

فعلينا أن نصل كل حين ، أن ينجينا الرب من أعوان الشياطين . وليس فقط من الشيطان وحده . بل من الشيطان وكل ملائكته وكل جنوده ، وكل أنصاره وأعوانه ، وكل منفذى مشيئته على الأرض... كل قوات العدو...

ملاحظة :

أ - من جهة حروب المناظر الحقيقية ، وحروب الرؤى والأحلام والضلالات الشيطانية ، فقد تحدثنا عنها في الفصل الثاني الخاص بصفات الشيطان وحروبه ، تحت صفة (قاس) وصفة (كذاب) .

ب - وهذه النقاط التي ذكرناها ليست هي كل حيل الشيطان . ولا كل ما نعرفه عنها . فإن جمعة الشيطان لا تفرغ . وحيله لا تنتهى : القديمة والحديثة ، وما يمكن أن يخترعه الآن وفيها بعد . ولا شك أنه مجدد في حيله ، رحنا الله منه ومنها .

من أجل هذا ، نحن نصل كل يوم في تحليل الغروب :
« نحننا من حيل المضاد . وإبطل سائر فخاخه المنصوبة لنا » آمين .

الفصل الرابع

كيمياء الإقنيسود
عن محمد بن عبد الله بن أحمد

كل ما ذكرناه قبلاً من صفات الشيطان وتنوع حيله ، إنما كتبناه لكم ، لا لكي تخافوا منه ، إنما لكي تحترسوا منه . وعلى الرغم من عنف الشيطان ومكره ، إلا أن الانتصار عليه ممكن جداً ، بل إنه سهل أيضاً .

١ الانتصار ممكن

إذا وضعت أمامك أن الانتصار في حروب الشياطين أمر صعب أو مستحيل ، ستخور قواك وتضعف وتستسلم ، وبالتالي ستسقط . أما أنت فإن حاربك الشيطان ، تأكد تماماً أنه في إمكانك أن تنتصر ، وإلا ما كان الله يسمح بحرب غير متكافئة ...

تأمل باستمرار في سير القديسين الذين انتصروا .

ضع أمامك قصة يوسف الصديق الذي انتصر على الرغم صعوبة التجربة التي تعرض لها . أما داود وشمشون في سقوطهما ، فخذ درساً من قصة كل واحد منها . إعرف ما هي أسباب سقوطه وتحاشاها . إن كل قصة سقوط أعطيت لنا ، إنما لفائدتنا ، لكي نحترس ونتعلم ...

الكتاب والتاريخ قدما لنا العديد من قصص الانتصار .

نعرف أن التوبة ممكنة جداً ، مهما كانت الحالة سيئة ، وذلك من قصة توبة مريم القبطية ، وبيلاجية ، وبائية ، وأوغسطينوس ، وموسى الأسود . وكذلك توبة سليمان الحكيم ، وشمشون . لذلك إن حاربنا الشيطان باليأس من سوء ما وصلنا إليه نتذكر كل هذا فنتعزى ونتشجع .

ونعرف من قصة القديس الأنبا أنطونيوس ، كيف يمكن الانتصار على الرغم من شدة الحروب وتنوعها وكثرتها . وكذلك من سير باقي القديسين .

كذلك علينا أن نتذكر باستمرار كيف أن الله بارك طبيعتنا .

إنه لما تجسد وأخذ هذه الطبيعة ، باركها . ولذلك نقول له في القداس الغريغوري « وباركت طبيعتي فيك » . وأصبحت هذه الطبيعة قادرة جداً على قهر الشيطان . يكفي أننا صرنا هياكل بروح القدس ، وروح الله يسكن فينا (١ كو ٣ : ١٦) . كما صرنا أبناء الله ، بطبيعة مولودة من فوق ، من الماء والروح (يو ٣ : ٣ ، ٥) .

وكما نتذكر القوة التي أعطيت لنا ، نتذكر القوى الروحية المحيطة بنا .

نتذكر أننا لسنا وحدنا في حرب الشيطان . فروح الله القدوس يعيننا ، ويكتننا على خطية (يو ١٦ : ٨) ، ويعلمنا كل شيء (١ يو ٢ : ٢٧) ، ويرشدنا إلى كل الحق (يو ١٦ : ١٣) . فكيف يمكن أن ينتصر الشيطان علينا ، ونحن لنا شركة الروح القدس (٢ كو ١٣ : ١٤) . وكذلك نعمة ربنا يسوع المسيح معنا (١ كو ١٦ : ٢٣) . ولذلك نحيا ، لأنحن ، بل المسيح الذي يحيا فينا (غل ٢ : ٢٠) ... يضاف إلى هذا ملائكة كثيرون محيطون بنا ، أرسوا لخدمتنا لنرث الخلاص (عب ١ : ١٤) . كما أن سحابة من الشهود الذين انتصروا (من القديسين) محيطة بنا أيضاً « لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة » (عب ١٢ : ١) .

ولنتذكر أيضاً وعود الله لنا ، لكي نتشجع ...

إنه يقول « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠) . « وإن كان الله معنا فن علينا » (رو ٨ : ٣١) . إنه يقول لكل منا « لا أهلك ولا أتركك ... تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب ، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب » (يش ١ : ٥ ، ٩) ، « أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ١٠) .

ولنتذكر وعود الله للغالبيين ، لكي تحمسننا في جهادنا .

لذلك إقرأ وعود الله مثلاً لرعاة الكنائس السبع التي في آسيا « من يغلب فسأعطيهِ أن يجلس معي في عرشي ، كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه » ، « وسيلبس ثياباً بيضاء ... وسأعترف بإسمه أمام أبي وأمام ملائكته » (رؤ

٣ : ٢١ ، ٥) ، «سأعطيه أن يأكل من لمن الخفى» ، «وأعطيه كوكب الصبح» ،
 «وأعطيه إكسيل الحياة» (رؤ ٢ : ١٧ ، ٢٨ ، ١٠) ... حقاً من له أذنان للسمع
 فليسمع هذه الوعود التي تملأ القلب حماساً وقوة...

كذلك فلنثق تماماً أن الله هو الذى يحارب عنا .

فهما كان الشيطان قوياً ، من هو أمام قوة الله التى لا تعد ؟ وإن كان الشيطان
 كأسد يزأر، فإن الله يرسل ملاكه ليسد أفواه الأسود (دا ٦ : ٢٢) . حقاً «إن الحرب
 للرب» (١ صم ١٧ : ٤٧) . هو «يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤ : ١٤) .
 مادام الرب هو الذى يقاتل عنكم ، إذن لا تخافوا مطلقاً من الشيطان .

٩ لا تخافوا

لا تخافوا مطلقاً من الشيطان . فهو على الرغم من كل مواهبه وقوته وحيله ، كائن
 ضعيف أمام أولاد الله . قال عنه الرب :

« رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء » (لو ١٠ : ١٨) .

لقد داسه الرب على الصليب ، ولم يعد « رئيس هذا العالم » كما كان . بل قال
 عنه الرب قبيل الصليب «الآن دينونة هذا العالم . الآن يُطرح رئيس هذا العالم
 خارجاً» (يو ١٢ : ٣١) ، «رئيس هذا العالم قد دين» (يو ١٦ : ١١) . لذلك قال
 الرب :

« ها أنا أعطيك سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو»
 (لو ١٠ : ١٩) . إن وعد الرب لنا أن ندوس كل قوة العدو، هو وعد كله قوة
 وعزاء ، ينزع الخوف من أى قلب... ومن هبة الكنيسة لهذا الوعد الإلهى ، وضعت لنا
 فى آخر صلاة الشكر، نذكره فى صلواتنا كل يوم بل كل ساعة ، حتى لا نخاف من
 الشياطين ولا من كل قوة العدو.

إذن ليس للشيطان سلطان علينا ، بل لنا سلطان عليه .

حتى الشياطين تخضع لنا باسم الرب (لو ١٠ : ١٧) . بل جعل الرب إخراج

الشياطين في مقدمة الآيات التي تتبع المؤمنين (مر ١٦ : ١٧) . وطبعاً موهبة إخراج الشياطين لا بد أن يسبقها الانتصار أولاً في حروب الشياطين . فالذي ينتصر على الشيطان في تجاربه وإغراءاته ، ويجده الشيطان صلباً ، يبدأ أن يخافه . ويصير لهذا الإنسان سلطان عليه .

هناك محاضرة جميلة للقديس أنطونيوس عن ضعف الشياطين ...
سجنها القديس أنثاسيوس الرسول في كتابه عن حياة القديس أنطونيوس ، يمكن أن تقرأوها ، لكي تتقوى قلوبكم فلا تخافوا الشيطان .
وكم من رهبان بسطاء ، لم ينالوا من العلم كثيراً ولا قليلاً ، استطاعوا أن يحطموا الشيطان في البرية . ومنهم القديس بولس البسيط .
كذلك فإن الشهداء والمعترفين استطاعوا أن يحطموا جميع إغراءاته وكل قوته وأسلحته .

والشيطان لا يسيطر إلا على الذي يخضع نفسه له ...
وعلى رأى المثل « إن العبيد هم الذين يخلقون السادة » ، أى أن ما في العبيد من ذل وخضوع ، هو الذي يساعد السادة على السيطرة والتعالى . كذلك الحال مع الخاضعين للشيطان . أما الذين حررهم الإبن ، فبالحقيقة هم أحرار (يو ٨ : ٣٦) .

أكثر شيء يحبه الشيطان ، أن يجده تخاف منه .
لأنك في خوفك تضعف أمامه وتضطرب ، وتظن أنك لا بد واقع في يديه ، فتخوّر ممنوياتك ، وتستسلم له ، عاجزاً عن المقاومة ... وهذا حين ما يريد منك ، لأن الخوف يعطيه سلطة عليك . ولكن السيد المسيح نصحننا ألا نخاف مطلقاً ، بقوله :
أنا هو . لا تخافوا . لا تضطرب قلوبكم ولا تخزع (متى ١٤ : ٢٧ ، يو ١٤ : ٢٧) .

لا تخف إذن . لأن قوة الله العاملة فيك ، هي أعظم بما لا يقاس من قوة الشيطان الذي يحاربك من الخارج . وثق أن خوفك في داخلك هو أكثر ضرراً عليك من حرب الشيطان الخارجية .

إن الذين خافوا من جليات الجبار ، ضعفوا أمامه ولم يستطيعوا أن يقاوموه . أما داود الذي لم يخف ، فقد تقدم إليه بمسيرة قلب ، معتمداً على معونة الرب ، وانتصر

عليه . وقصة داود وجليات تصلح رمزاً لحروب الشياطين . ولعلك تسأل داود عن السر في عدم خوفه فيقول :

« الرب نورى وخلصى من أخاف ؟! الرب عاضد حباتى من أرتعب ؟! » (مز ٢٧ : ١) ، ويستطرد « إن يحاربنى جيش فنن يخاف قلبى . وإن قام على قتال ، ففى هذا أنا مطمئن » . لذلك أدخل حروب الشياطين بقلب مطمئن ، وحارب حروب الرب وأنت واثق أنك ستنتصر بمعنوته . ما أصعب وما أخطر ما قيل فى سفر الرؤيا عن الخوف : « وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة ، فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت » (رؤ ٢١ : ٨) .

وهكذا وضع الخائفين قبل غير المؤمنين وقبل القتلة والزناة ! ولعلك تسأل لماذا ؟ ربما لأن الذى يخاف من الشيطان ويستسلم له ، يقع فى كل هذه الخطايا . أو لأن الذى يخاف من الشيطان ويخضع له ، يكون خائفاً فى اليوم الأخير ، لأنه لم يجاهد ويغلب مثل المؤمنين المختارين .

ليتك تقرأ سير القديسين الذين لم يخافوا الشياطين . إقرأ عن القديس الأنبا أنطويوس الذى كانت الشياطين تغلهر له على هيئة أسود وغور ووحوش مفترسة ، تصيح بأصواتها المرعبة لتخيفه فيترك البرية ، ولكنه لم يخف ، وكان يجيها بهدوء . أو إقرأ عن القديس مقاريوس الكبير الذى نام فى مقبرة ، وقد وضع جمجمة تحت رأسه . فكلم الشياطين صاحبة هذه الجمجمة بصوت مسموع لكى تقوم معهم . فلم يضطرب القديس ، بل رفع رأسه قليلاً عن الجمجمة ، وقال لها « إن أردت ، قومى واذهبنى معهم إلى الجحيم » ...

أما أنتم فلا تخافوا . لن تحاربكم الشياطين بهذه المخاوف التى حاربت بها القديسين . وهذا الرسول يطمئنكم قائلاً :

الله أمين ... لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون (١ كو ١٠ : ١٣) . إن الله لا يسمح للشيطان أن يجربكم بما هو فوق احتمالكم « بل سيجعل مع التجربة المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا » (١ كو ١٠ : ١٣) . لهذا لا تخافوا مطلقاً من الشياطين وحروهم ، سواء كانت بمخاوف أو بخطايا . إن الشيطان قد يثير ضجة ليخيف ، ولكنه لا يستطيع أن يعمل شيئاً للمؤمن الصامد .

إلى أشبه ضجيج الشيطان بقصة الثعلب والطة .

كانت هناك طلة معلقة على شجرة ، تعصف بها الريح فتحدث صوتاً مهولاً . ومر عليها ثعلب وراعه هذ الصوت الضخم فخاف أولاً . ثم تجرأ وهجم عليها ، فرآها فارغة من الداخل ، فضحك واحتقرها . يشبه ذلك أيضاً البالونة الكبيرة التي تبدو ضخمة . ولكن شكة دبوس صغير ، تجعلها كلا شيء ...

هكذا الشيطان في حروبه : ضجيج بلا قوة . يحاول أن يخيف ، ولكنه لا يملك قوة . والشيطان ليس كائناً مطلق الحرية يفعل ما يشاء .

هناك الله ضابط الكل ، يمنع الشيطان حسبما يشاء .

وفي قصة أيوب الصديق ، ما كان الشيطان يتصرف حسب هواه ، بل إنه لا يحارب إلا في النطاق الذي يسمح به الله (أى ١ ، ٢) .

إنه ليس قوياً بالشكل الذي تخافه . بل مجرد علامة الصليب في إيمان ، تجعله يهرب من أمامك .

يريد الشيطان أن يوهمك بأنه قوى . ولكن لا تصدقه .

وتذكر باستمرار إنزوماته المتكررة في قصص القديسين . وتذكر أولئك الذين كانت لهم قوة أن يخرجه ممن صرعه . وكيف كان يصيح في خوف أمام أولاد الله ويهرب . إن عرفتم ضعف الشيطان ، قاوموه في شجاعة .



ما أجل أن نتذكر قول القديس يعقوب الرسول :

« قاوموا إبليس ، فيهرب منكم » (يع ٤ : ٧) .

وهنا عبارة « يهرب منكم » تدل على ضعف الشيطان . فالرسول لم يقل قاوموه فتهركم ، إنما قال قاوموه فيهرب منكم ...

إن الشيطان يحس نبض الإنسان ، ليعرف ما هو معدنه . فإن وجده من النوع الذي يخاف ، يبدأ أن يتسلل به ويجعله لبعته . أما إن وجده قوياً ويقاوم ، ولا يقبل الهزيمة ، حينئذ يخافه الشيطان ويهرب منه ... لذلك قاوموه ولا تهركم قوته . فالقديس بطرس الرسول لما قال « إبليس خصمكم كأسد زائر يجو ملتمساً من يبتذعه هو » قال بعدها مباشرة :

« فقاوموه راسخين في الإيمان » (١ بط ٥ : ٩) .

أى أن زثيره كأسد لا يخيفكم ، بل قاوموه . ليكن لكم قلب أسد أقوى منه . إن تذكرتم أن الشيطان يزأر كأسد ، تذكروا قول دانيال « إلهى أرسل ملاكه فسد أفواه الأسود » (دا ٦ : ٢٢) . قفوا أمام الشيطان إذن في قوة وصمود ، بكل مقاومة...

لا تستسلم ، بل أصمد في الحرب ، كجندى صالح للمسيح .

حارب بكل قوتك ، واطلب معونة الرب . وهنا يعجنى ما قيل في سفر النشيد « تحت سيمام حوله ستون جباراً ... كلهم قاضون سيوفاً ومتعلمون الحرب . كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل » (نش ٣ : ٨) . كن إذن متعلماً للحرب في كل ما يثيره عليك الشيطان . وليكن سيفك على فخذك . بل كما يقول المرتل في المزمور « تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار ... إستهل وانجح واملك » (مر ٤٥ : ٣ ، ٤) .

إن حاربك الشيطان بفكر أو شعور ، لا تستسلم بل قاوم .

لا تقبل كل ما يعرضه عليك . لا تفتح له قلبك ، ولا تفتح له عقلك ، ولا تسلّم له إرادتك ، ولا تتساهل معه ، بل قاومه بكل عنف . قاوم كل أفكاره وكل إغراءاته وكل شهواته وكل تجاربه . واحذر أن تتراخى ، لئلا تسمع تأنيب الرسول :

« لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية » (عب ١٢ : ٤) .

حتى الدم ... حتى لو أدى الأمر أن تستشهد في حربك ضده . كما يقال عن الضابط في الجيش إنه « يحارب إلى آخر طلقة وآخر رجل » . وثق أنك لو فتحت للشيطان ولو ثقب إبره في فكرك أو في إرادتك ، سيظل يتمادى ويوسع نطاقه حتى يتعبك . لذلك قاومه واطرده عنه . ومهما أراد أن يتفاهم معك في شرح الخطية ، فلا تقبل .

لا تفاهم مع الشيطان في الخطية . ولا نقاش ولا جدال .

وكما قال أحد القديسين « لا تأخذ وتعط مع إنسان يقاوتك به العدو » . إن الشيطان عندما يعرض عليك الخطية ، إنما يريد أن يتفاهم معك فيها ، أى يريد بقاءك في مجال الخطية أطول مدة لتتأثر بها . وفي هذا أنت الخاسر .

لذلك قاومه من أول خطوة ، حينما تكون إرادتك في يدك .

لأنك إن تأخرت في مقاومته ، سيزداد تأثيره عليك ، وستقل إرادتك شيئاً فشيئاً .

وكلما طالّت المدة معه تضعف مقاومتك ، مثلما حدث لشمشون مع دليّة ، لأنّه لما كثر إلحاحها عليه ضاقت نفسه وأخبرها بسرّه (قض ١٣ : ١٥-١٧) .

لا تقل أنتظر على هذا الفكر حتى أعرف نهايته !

صدقني ، أنت تعرف تماماً ما هي نهايته . فلا تخدع نفسك . مجرد فتح أبواب فكرك للشيطان هي خيانة للرب لذلك إبعد كل البعد عن الشيطان وكل طرقه وكل جنده ، ولا تتساهل مع حيله ، ولا تتأخر . بل أرفضه بحزم وقل له «إذهب يا شيطان» (متى ٤ : ١٠) . فيعرف الشيطان أنك جاد في رفضك له .

وبرفضك الحازم لكل أفكاره ، تصير لك هبة عند الشيطان .

الشيطان يدرك تماماً بذكائه ما هي المقاومة الجادة ، وما هو التعريج بين الفرقتين (١ مل ١٨ : ٢١) . يعرف من هو الذي يرفضه بقلب نقي ، ومن هو الذي يرفض من الخارج بينما قلبه متجوب مع الشيطان . نعم إن الشيطان يمكنه أن يستنتج من الذي سيقاومه حتى الموت ومن الذي إذا ضغط عليه قليلاً يستسلم . فقاوم بجديّة ، وبكل قوة ، ومن قبلك .

لست أحب أن يقول عنك الشيطان أنك إنسان طيب .

لا أريد أن يقول عنك : إنه إنسان طيب ، يثور عليّ جداً في أول الأمر . ومع ذلك فإن قلبه أبيض سرعان ما يتصافى . ومع أنه يعارض كثيراً ، إلا أن الأمر ينتهي أخيراً بالموافقة والرضى ، مثل كل مرة... !

والمقاومة هي رفض الخطية بكل صورها ، ورفض التنازل عن الكمال .

والإصرار القلبى على السير في الطريق الروحى ، ورفض كل مقترحات الشيطان ، بل ومراقبة كل أفكاره من بعيد ، وعدم التفاوض مع شيء منها ، بل طردها من أول وهلة . وغلق كل أبواب النفس والفكر والقلب أمامها . وعدم التساهل في شيء ، بحجة أن هذا الأمر بسيط ، أو أن هذه العثرة لا تؤثر فى !

المقاومة لازمة ولكن كيف ؟ يقول الرسول : قاوموه راسخين فى الإيمان .

أنت تغلب الشيطان بالإيمان . ولكن أى إيمان ؟ إنه :

الإيمان بعمل الله معك . الإيمان بأن الله يستطيع أن يبطل قوة العدو وكل فخاخه المنصوبة لنا . الإيمان بأن الله « لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين » (مز ١٢٥ : ٣) . الإيمان بأن الله أقوى من كل حيل العدو . وهو الذى يحارب عنا . الحرب للرب (١ صم ١٧ : ٤٧) ، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون (خر ١٤ : ١٤) .

تؤمن أن الحرب للرب . فست أنت الذى تحارب الشيطان ، بل الله هو الذى يحربه فيك ومعك . هو الذى يعطيك القوة التى تحارب بها ، والسلاح الذى تستخدمه ، وهو الذى يعطيك الخبرة فى مقاتلة لشیاطین ، كما قال داود النبى : « مبارك الرب ... الذى يعلم يدي القتال وأصابعى الحرب » (مز ١٤٤ : ١) .

فهل أنت أدخلت الله معك فى حروبك وفى تجاربك ومشاكلك ؟ إن كنت مهزوماً ، فربما لأنك لم تدخل الله معك . والله قادر تماماً أن يغلب بك ويتمجد فيك ، مهما كانت قوتك ضئيلة ومقاومتك لاشيء . فالكتاب يقول : « ليس للرب مانع أن يخلص بالكثير أو بالقليل » (١ صم ١٤ : ٦) .

إن حزقيا الملك لما وصله خطاب تهديد من ملك سنحاريب بجيشه الجبار ، وضع الخطاب أمام الله فى بيت الرب . وسكب نفسه أمام الله لكى يتصرف . وتدخل الله وأرسل ملاكه ففُضرب جيش سنحاريب (٢ مل ١٩ : ٣٥) .

ونلاحظ كيف أن داود النبى كان ينتصر بالإيمان فى حروبه .

إنه يقول « لولا أن الرب كان معنا حين قام الناس علينا ، لابتلعون ونحن أحياء ... نجبت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين ... عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض » (مز ١٢٤) ، « عيوننا إليك يارب ... لحفظنى من الفخ الذى نصبوه لى ومن شكوك فاعلى الإثم » (مز ١٤١ : ٩) ، « ضاع المهرب منى ، وليس من يسأل عن نفسى . فصرخت إليك يارب . وقلت أنت هو رجائى وحظى فى أرض الأحياء » (مز ١٤٢ : ٤ ، ٥) .

هذا الإيمان إنتصر داود في حروبه كما انتصر على جليات .

مهما كان عدوك قوياً ، آمن أن الله سيخلصك منه . رتل مع داود النبي وقل :
صوت الرب يقطع هيب النار . صوت الرب يزلزل القفر » (مز ٢٩ : ٧ ، ٨) . وفي
إيمان قوى ، قاوم الشيطان مردداً قول بولس الرسول :

« أستطيع كل شيء في المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) .

وكن راسخاً في هذا الإيمان ، واثقاً تماماً أن الله سيقف إلى جوارك وينصرك في
كل حروب الشيطان ، وأنه لن يتخلى عنك . وكما كان مع آبائنا وقادهم في موكب
نصرته ، سيكون معك أيضاً ، ولن يسمح أن يقع بك أحد ليؤذيك (أع ١٨ : ١٠) .

هذا الإيمان سيعطيك قوة قلب في الداخل ، وقوة على الشيطان في الخارج .
ولذلك نرى أن الرسول حينما يتكلم عن قتالنا مع الشياطين يقول « أخيراً
يا إخوتي ، تقووا في الرب وفي شدة قوته . لبسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن
تثبتوا ضد مكاييد إبليس » (أف ٦ : ١٠ ، ١١) .

إذن الأمر لا يصلح له قوتنا الشخصية ، بل « تقووا في الرب » . ولا تصلح له
أسلحتنا البشرية ، بل علينا أن نلبس سلاح الله الكامل . ونشعر بقوة الله العامة معنا .

وهذه القوة ، لا تكون لنا روح الفشل ولا روح الاستسلام .

ولا تكون لنا روح التخاذل ، ولا روح اليأس ، لأن الله الذى نعتمد عليه قادر أن
يحمينا في كل حروب الشياطين . بهذه القوة استطاع القديس بولس الرسول أن يقول
« حاربت وحوشاً في أفسس » (١ كو ١٥ : ٣٢) . وهذه القوة إستطاع أن يقول « إن
الله لم يعطينا روح الفشل بل روح القوة » (٢ تي ١ : ٧) . لذلك أولاد الله لا يضعفون
أبداً في حروبهم .

إنهم جبابرة بأس ، لا يقوى عليهم الشيطان ولا الخطية .

مأجل التقرير الذى كتبه القديس يوحنا الرسول عن أولاد الله « كل من وُلد من
الله لا يخطئ ، بل المولود من الله يحفظ نفسه ، والشرير لا يمس » (١ يو ٥ : ١٨) .
كلهم لهم روح الغلبة ونيل المواعيد كما شرح الرب في سفر الرؤيا (رؤ ٢ ، ٣) .

أنظروا إلى أبواب الصديق وشهادة الرب عنه « ليس مثله في الأرض ، إنه رجل
كامل ومستقيم ، يتق الله ويحيد عن الشر . وإلى الآن هو متمسك بكماله » (أى ٢ :

٣). هل مثل هذا يقدر عليه الشيطان؟! كلا، بل إن الله تحدى به الشيطان .

دائماً في الحرب ضِع أَمَامَكَ الْإِنْتِصَارَ وَلَيْسَ الْفُشْلُ .

قل : أنا لا يمكن أن أفشل ، مادمت أُلجأ إلى الله ، وهو يحارب عني . أنا لا أخاف الشيطان ، بل أقول للرب «إن سرت في وادي ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معي» (مز ٢٣) . إني في يمين الرب ، نقشني على كفه (أش ٤٩ : ١٦) . وقال عن خرافه «أنا أعطيها حياة أبدية ، ولن تهلك إلى الأبد ، ولا يحطفها أحد من يدي ... ولا يقدر أحد أن يحطف من يدي» (يو ١٠ : ٢٨ ، ٢٩) .

بهذا الإيمان يمكن أن تنتصر . كذلك تنتصر بالإتضاع .

هـ بالإتضاع

كان القديس الأنبا أنطونيوس يغلب الشياطين بالإتضاع :

فحينما كانوا يتكاثرون عليه ، كان يقول لهم باتضاع «أيها الأقوياء ، ماذا تريدون مني أنا الضعيف؟!» وكان يصلي قائلاً «إنقذني يارب من هؤلاء الذين يظنون أنني شيء ، مع أنني أضعف من أن أقاتل أصغرهم» . ولما كان الشياطين يسمعون وهو يصلي هذه الصلاة الممبوءة اتضاعاً ، ما كانوا يحتملون ، بل كانوا ينقشعون كال دخان .

والقديس مقاريوس الكبير كان يغلب الشيطان أيضاً بالإتضاع .

في إحدى المرات ظهر الشيطان للقديس مقاريوس وقال له «ويلاه منك يامقاره! أي شيء أنت تعمله ونحن ما نعمه؟! أنت تصوم ونحن لا نأكل . أنت تسهر ونحن لا ننام . أنت تسكن البراري والقفار ونحن كذلك . ولكن بشيء واحد تغلبنا» فسأله القديس ما هو؟ فأجاب : باتضاعك تغلبنا .

الإتضاع يغلب الشيطان لأسباب كثيرة منها :

أولاً : لأن الشيطان غير متضع . والإتضاع يذكره بكبريائه التي أسقطته .

ثانياً : لأن الإتضاع يذكره بصورة المسيح الذي أخلى ذاته وأخذ شكل العبد ، لكي يخلص البشرية . وبجرد هذه الذكرى تتعبه ، فيذهب .

ثالثاً : لأن المتضع إذ هو معترف بضعفه يستعين بقوة الله لتعينه في حروب الشيطان . وهذا أخوف ما يخافه الشيطان .
ولهذا كتبت مرة في مذكرتي العبارة الآتية :
قال الشيطان لله : أترك لي الأقوياء فإنني كفيل بهم . أما الضعفاء فإنني لا أقوى عليهم . فإذا يرون أنه ليست هم قوة ، يحاربونني بقوتك .

إن قصة أنبا صرابامون أبي طرحة تثبت إخراج الشياطين بالإتضاع .
كانت زهرة إبنة الحاكم عليها شيطان ، فجاءوا إلى البابا ليصلي عليها ليخرج . فقال لهم البابا في إتضاع « أنا ليست لي هذه الموهبة . إذهبوا إلى الأنبا صرابامون أبي طرحة » . فذهبوا إليه . فقال لهم في إتضاع « صلاتي لأجلها لا تكفي » . وطلب صليب البابا ليرشمها به ، قائلاً إنه « ببركة هذا الصليب تشفى » . وكان يريد بهذا أن ينسب شفاءها إلى البابا وليس إلى نفسه . وهكذا شفيت ، لأن الشيطان لم يحتمل هذا الإتضاع .

تحدثنا عن أهمية الإتضاع في حروب الشيطان ، مع بعض قصص من سير القديسين . وبقي أن نعرض لسؤال هام وهو :

ما هو الأثر العملي للإتضاع للانتصار في حروب الشياطين ؟

١ - المتضع يعترف دائماً بضعفه ويطلب من الله امعونة فتأتيه بقوته . وهكذا ينتصر لأنه لم يعتمد على ذراعه البشرى ، بل على معونة الله .

٢ - المتضع يحترس من أقل الخطايا ، ويخاف السقوط فيبعد عن جميع العثرات . وبالتالي لا يلقى نفسه في تجربة ولا يتهاون ، وهذا الحرص الناتج عن الإتضاع ينتصر على الشياطين .

٣ - المتضع يكشف حروبه وضعفاته . فيمكن علاجها . وهذا ينتصر .

٤ - المتضع دائماً يصلي . بل إن أصغر خطية يجعلها موضوعاً لصلاته . وهكذا يدخل الله معه في حروبه . وهذا ينتصر .

٥ - نفس الإتضاع : فضيلة لا يحتملها الشياطين فيهربون .

وكما ينتصر الإنسان على الشياطين بالإتضاع ، ينتصر أيضاً بالحكمة والإفراز .

إن أذاك فكر ، لا بد أن تفحصه جيداً : هل هو من حروب الشياطين ؟ وأين الحق فيه ، وأين الباطل ؟ وهكذا تفعل مع الرؤى والأحلام ، ومع نصائح الآخرين ... ومع كل ضلالات الشياطين ... ومن أجل هذه المعرفة أو التمييز أو الإفراز ، ينهنا الرسول بقوله « لا تصدقوا كل روح . بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله ؟ ... » (١ يو ٤ : ١) .

فما هي مصادر الحكمة هذه والمعرفة والإفراز ؟

هناك إنسان حكيم بطبيعته . خلقه الله هكذا ، ومنحه الذكاء والحكمة والمعرفة ، ويستطيع أن يكشف حرب الشيطان ويميزها ، ويفرزها عن الفكر الروحي . وهناك من يقتنى الحكمة عن طريق القراءة في الكتاب المقدس وفي الكتب الروحية وسير القديسين . ونوع ثالث يقتنى الحكمة بالخبرة . وفي كل سقوط يأخذ درساً ويعرف حيلة العدو ، فلا يسقط مرة أخرى . وفي ذلك قال أحد القديسين :

لا أنذكر أن الشياطين أطغوني في خطية واحدة مرتين .

وقد يقتنى الإنسان الحكمة عن طريق المشورة والإسترشاد والتعلم .

وإذا ميز حرب الشيطان ويكشفها ، يبعد عنها ، فلا يخدعه العدو .

نقول هذا عن الذي يريد أن ينتصر . لأن هناك إنساناً يعرف أن هذه حرب من حروب العدو ، ومع ذلك يستمر فيها لأسباب داخل نفسه ، أو لانحراف ، أو لأنه غير قادر على المقاومة ...

والحكمة كما تكشف حيل الشياطين ، تمنى أيضاً وسيلة للتصرف .

فالإنسان الحكيم يعرف كيف يفلت من حيل الشيطان : كيف يهرب من فخاخه ، وكيف يقوم إذا سقط . وكيف يبعد عن كل سبل الخطية . وإذا لم يعرف ، تدعوه الحكمة أن يستشير ...

الإرشاد الروحي يكشف حيل الشياطين ، ويشرح كيفية النجاة منها .
 كما أن المرشد يوصل من أجل النفس التي تكشف أفكارها لتنجو . وفي هذا قال
 القديس بولس الرسول « أطيعوا مرشديكم واخضعوا . لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم
 كأنهم سوف يعطون حساباً . لكي يفعلوا ذلك بفرح... » (عب ١٣ : ١٧) . ولهذا فإن
 الذي يسلك في الطريق الروحي بهواه ، يمكن أن يسقط في فخاخ الشياطين . وقد قيل :
 الذين بلا مرشد يسقطون مثل أوراق الشجر .

من أجل هذا كانت أهمية أب الإعتراف في الكنيسة . تكشف له ما في قلبك
 وتخجل وتنسحق نفسك أمام الله في حضرته . ويرشدك إلى ما ينبغي أن تفعله .
 والإعتراف يكشف حروباً ربما المبتدئون لا ينتبهون لها .

وكثير من الخطايا يخلص منها الماعترف بسبب فضيلة الإعتراف .
 شياطينها لا تحاول إنسحاق الماعترف في مذلة فترب . كما أن الشياطين تحب أن
 تعمل في الظلمة ، والإعتراف يكشفها . كذلك الإرشاد يكسر فخاخها . والتحليل
 يضعف تعبها . وهكذا نرى أن الإنسان الماعترف بخطايا والمطيع للإرشاد ، يسلك في
 طريق التوبة ، وينجو من حروب الشياطين . وحتى إن لم تتركه الخطية تماماً ، فإن
 قوتها تضعف في مهاجمة .

لهذا يحاول الشيطان أن يمنع الإعتراف . ويشكك في أب الإعتراف .

يدخل هنا شيطان الخجل يمنع الإعتراف . ويدخل شيطان الشهوة ليقول « ما
 الفائدة إن كنت سأعود إليك ؟ » . ويدخل شيطان الفكر والجدل ليناقد موضوع
 الإعتراف جملة . ويدخل شيطان الشك ليشكك في الإعتراف وأب الإعتراف .
 أما أنت فكن ثابتاً . واعترف بكل هذا أيضاً . فلا يجد الشيطان حيلة فيك ،
 ويعتبرك خصماً متعباً ، فيتركك ...

لا يكفي أن تعترف وتكشف نفسك وتطلب لإرشاد ، إذ ينبغي أن تكون ساهراً على خلاص نفسك (ه) . وهذا الرسول يقول :

إصحوا واسهروا ، لأن إبليس خصمكم مثل أسد زائر... » (١ بط ٥ : ٨) .
إسهروا لأن عدوكم متيقظ وقوي ، لئلا يأخذكم في ساعة غفلة أو تهاون أو تراخ ،
أو في ساعة فتور ، أو في حالة نسيان لواجباتكم الروحية وعدم اهتمام بخلاصكم .

والكنيسة توجد لنا مناسبات عديدة تنادينا أن نتيقظ :

هناك أصوام تقول لنا إصحوا واستعدوا . وهناك قدسات تقول لنا تعالوا تناولوا باستحقاق . وعظات وقرءات واجتماعات كلها تنادينا أن نهتم بأبديتنا ، ونحارب حروب الرب بكل اهتمام . لذلك علينا أن نتيقظ لأن الكنيسة تدعون أن نقول للرب في بدء صلاة نصف الليل « إنزع من عقولنا نوم الغفلة ، واعطنا يارب ينفطة... » .

الشیطان يحب أن يكون (فريسته) متهاوناً ليسهل القضاء عليه .

إن المتهاون في واجباته الروحية من السهل أن يسقط ، إذ لا يكون محصياً باستعداد روحي ، ولا بالمشاعر الروحية التي تغرسها وسائط النعمة في القلب . لذلك في بعض لأوقات إذا أراد الشيطان إسقاط إنسان ، يبدأ معه بسلاح لتهاون ، فيكسل في صلواته وقرءاته واجتماعاته الروحية واعترافه وتناوله . وإذا لا يكون منتبهاً لنفسه يضربه الشيطان فيسقط .

أما المهتم بواجباته الروحية ، فإن الله يكون دائماً أمام عينيه ، فيستحي من السقوط ، كما أن الله يعينه في حروبه .

هناك نوع لا يصحو لنفسه إلا بعد السقوط .

مثال ذلك الإبن الضال ، الذي لم يستيقظ إلا بعد الضياع والإستمرار فيه مدة . وكذلك داود النبي حينما سقط لم يكن صاحياً لنفسه . إنما صحا حينما قال له ناثان « أنت هو الرجل » ! وكذلك سليمان الحكيم لم يكن في حكمته حينما سقط . ولم يشعر أن الكل باطل وقبض الريح ، إلا بعد أن أغوته النساء... !

أما أنت فإدام عدوك يزأر ، إعلن حالة التعبئة العامة .

قل للشيطان قف عند الحدود لا تتعدها . وجهز أنت كل أسلحتك من صوم وصلاة ، وسهر ويقظة قلب ، وتوبة واحتراس ، وتمسك بالرب . وكن متنبهاً لكل حركة من العدو ، لكل رغبة ، لكل فكر ، لكل حركة من الحواس . وكما يقول الرسول « مستأشرين كل فكر لطاعة المسيح » (٢ كو ١٠ : ٥) .

وفي سهرك الروحي ، إستمع إلى قول الرسول :

« إلبسوا سلاح الله الكامل ، لكي تقفروا أن تثبتوا ضد مكاييد إبليس » (أف ٦ : ١١) . كرس ساهراً « وسيفك على فخذك من هول الليل » (نش ٣ : ٨) . نقصد سيف الروح ، ودرع البر ، وترس الإيمان (أف ٦) ، وكل الوسائط الروحية .

وهذا الإحتراس ، أو هذا الإستعداد ، يكون معك مدى الحياة .

إحترس حتى الموت . وكن صاحباً إلى آخر لحظة « لئلا يأتي بغتة فيجذك خائفاً » (مر ١٣ : ٣٦) . السيد المسيح حورب حتى وهو على الصليب ، حين قبل له « إن كنت ابن الله إنزل من على الصليب » ... فكان إذن مستعداً باستمرار . ولا تقل قد كبرت ، أو قد خلصت !

واحترس من الشيطان الذى يحارب باللاهوتيات .

لئلا تقول « إرحمى يارب » ، فيأتيك الشيطان وينتهرك قائلاً : لا تقل إرحمى مطلقاً . فقد رحمك الرب منذ زمان حينما فداك على الصليب وخلصك . إذن ما معنى كلمة « إرحمى » هذه ؟ إنها هرطقة ! قل له : لقد رحمنى الرب وخلص نفسى . ولكننى لا أرحم نفسى ، بل كل يوم أضيع خلاصها ، لذلك أصرخ وأقول : إرحمى . إسهر إذن على خلاص نفسك .

وفي سهرك أسلك بكل جدية وبكل تدقيق .

وكن أميناً جداً حتى فى القليل . فإن أمانتك وتدقيقك وجديتك ، تجلب الشيطان يهرب منك ، شاعراً أن حربه معك هى حرب خاسرة . وهناك سلاح هام للإنتصار ، وهو أهم سلاح ، أعنى الصلاة .

لما عجز التلاميذ عن إخراج شيطان ، قال لهم الرب :

هذا الجنس لا يخرج بشيء ، إلا بالصلاة والصوم (مر ٩ : ٢٩) .

وهكذا نرى أهمية الصلاة والصوم في الانتصار على حروب الشياطين ، أو بمعنى آخر أهمية إدخال الله في حياتنا وحروبنا ، صارخين إلى الله وقائنين « نجنا من حيل المضاد ، وابطل سائر فخاخه المنصوبة لنا » .

إننا نفشل في حروبنا إن واجهنا الشيطان وحدنا ، بدون الله .

إنما نحن نقول لله : عدونا هذا القوى الذى يحول كأسد يزأر ، عدونا هذا الماكر الواسع الحيلة ، نحن يارب لا نقدر عليه بمهارتنا وذكائنا ، إنما النجاة هي من عندك أنت . نحن على قدر إمكاننا نغيز الأرواح ، ونعرف الفكر الذى من عنده ونحترس منه . ولكن القوة تأتي من عندك .

بقدر إمكاننا نجاهد . ولكن أنت الذى تقودنا في موكب نصرتك .

في كل خطية كبيرة أو صغيرة ، لا نريد أن نقف وحدنا تجاه الشيطان ، إنما لا بد أن يقف الله معنا . ولذلك نقول له في بدء صلاة باكر « نسألك أن تحفظنا في هذا اليوم بغير خطية » ، ونقول له في ختام هذه الصلاة « هب لنا في هذا اليوم الحاضر أن نرضيك فيه ، واحرسنا من كل شيء ردىء ، من كل خطية ، ومن كل قوة مضادة » ، « أحطنا بملائكتك القديسين ، لكى نكون بمعسكرهم محفوظين ومرشدين » ...

والمفروض أن نطلب معونة الله من أول الطريق .

كثيرون لا ينجأون إلى الله إلا بعد أن تضيق بهم السبل جداً ، كالذى لا يلجأ إلى الطبيب إلا بعد أن يشتد عليه المرض ويصل إلى حالة سيئة للغاية . أما نحن ، فإن الكنيسة تعلمنا أن نصلى من أجل النجاة قبل أن تأتى الحروب ...

وهكذا تكون صلاة وقائية ، قبل اللجوء إلى الصلاة العلاجية .

إننا نطلب من الله أن يبطل كل فخاخ الشيطان المنصوبة لنا . ولا ننتظر حتى نقع في تلك الفخاخ ، ثم نطلب من الله أن يخرجنا منها ! وهكذا في صلاة الشكر نطلب من

الله أن يبعد عنا « كل تجربة ، وكل فعل الشيطان ... وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين » ... يبعدها عنا قبل أن تجيء ... « ولا يدخلنا في تجربة » .

نحن لا نضطرب أمام حروب العدو ، إنما نطلب معونة الله .

هذا الشيطان الذى له خبرة ٧٠٠٠ سنة في محاربة البشر ، أنا لا أقدر عليه . أما أنت يارب فأرى ، كائن قبل أن يكون هذا الشيطان . وهو صنعة يديك من قبل أن يسقط . وتعرف كل حيله . وتستطيع أن تربطه وتقيده وتضع له حدوداً ، بل وتطرده طرداً . لذلك نجنى منه .

هكذا لجأ إلى الصلاة . لأنك بدونها لا تخلص .

وإن فشلت في محاربة العدو ، إعرف أنك فاشل في صلواتك .

ولو كانت لك صلاة قوية ، لانتصرت حتماً . وتأكد أن الله إن سمع صراخ لمساكين ، لا بد أن يستجيب . إنه نفسه يقول « من أجل صراخ المساكين وتهدد البائسين ، الآن أقوم - يقول الرب - أصنع الخلاص علانية » (مز ١٢ : ٥) . لذلك قل له : « قم أيها الرب الإله ، وليتبدد جميع أعدائك ، وليهرب من قدام وجهك كل مبغضى إسمك القدوس » (عد ١٠ : ٣٥) . قم يارب « فإن البار قد فنى ، وقلت الأمانة من بنى الشر » (مز ١٢ : ١) . قم بصنع الخلاص علانية « إستل سيفك على فخذك أيها الحبار . إستله وانحج وامسك » (مز ٤٥ : ٣ ، ٤) .

إن الشياطين هم أعداؤك يارب ، قبل أن يكونوا أعدائى .

نهم يحاربون مذكوتك فى وفى غيرى ، فحاربهم عنى وعن الجميع . ولا تتركنا وحدنا فى حروب الشياطين ، لأننا بدونك لا نستطيع أن نفعل شيئاً (يو ١٥ : ٥) .

إن داود الذى اختبر نصرة الرب فى حروبه قال فى لمزمور :

« يمين الرب صنعت قوة . يمين الرب رفعتنى » (مز ١١٨ : ٥ ، ٦) .

فهل جربت يمين الرب فى حياتك ؟ هل جربت خلاص الرب ، الذى قال عنه موسى النبى « قفوا وانظروا خلاص الرب ... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) . لو أنك اختبرت هذا ، لاستطعت أن تقول مع داود النبى « الرب لى معين وأنا أرى بأعدائى » (مز ١١٨) ، « يسقط عن يسارك ألوف ، وعن يمينك ربوات ، وإليك لا يقتربون » (مز ٩١ : ٧) .

إنك جربت تفكيرك وذكائك وعزيمتك وتدابريك ، ومعونات الناس لك ، ولكن هل جربت خلاص الرب ؟ هل جربت مفعول الصلاة القوية المسكة بقرون المذبح ؟ ليتك تفعل... لا تكن كإنسان يقول للرب :

أتركني يارب أن أعمل . وإن وقعت ولم أقدر أن أقوم ، سأطلبك .

ولماذا تنتظر إلى أن تقع ولا تقدر أن تقوم . أطلبه من الآن ، تجدد قوته إلى جوارك لكي لا تقع . طبعاً إن وقعت وطببت الله سيقمك ، لكنك ستقوم وأنت مجروح ومكسور! إلجأ إلى اليد الحصينة التي تحميك ، واصرخ إلى الرب قائلاً «نجنا من حيل المضاد ، وابطل سائر فخاخه المنصوبة لنا» ، وحينئذ يتدخل الله لإنقاذك . وحينئذ تغني مع المرتل :

« الفخ انكسر ونحن نجونا . عوننا من عند الرب الذي صنع السماء والأرض » (مز ١٢٤ : ٧ ، ٨) . أطلب من الرب إذن أن ينصرك كما نصر المجاهدين قبلك ، وأن يعطيك قوة كما أعطاهم ، وأن يعطيك نعمته وفعل روحه القدوس ، لكي تكون محصناً بقوة الإلهية... واطلب إليه أن ينتهر الشيطان كما انتهره من قبل ، ويقول له «إذهب يا شيطان» (متى ٤ : ١٠) .

١٠. إذهب يا شيطان

عبارة (إذهب يا شيطان) التي بها انتهر الرب الشيطان ، لم تكن للتجربة على الجبل فقط ، إنما أيضاً لكل حروب الشيطان مع البشر... فليتك تحتبر قوة هذه العبارة في حياتك ، حينما يتدخل الرب ويطرد الشيطان ، فلا يشتد في حربه عليك ، أو على الأهل يفعل كما فعل في التجربة على الجبل ويتركك إلى حين (لو ٤ : ١٣) .

فإن وجدت أن الحرب قد رفعت عنك ، ووجدت أن الأفكار والشهوات لا تتعبك كما كان يحدث قبلاً . وإن فارق الفتور وأشرق عليك نور جديد ، فاعرف أن الرب قد انتهر الشيطان وطرده... ليذهب بعيداً عنك .

إن الله لا يسمح أن نكون محاربين باستمرار من الشيطان . ولا يسمح أن يمسكنا الشيطان بقبضته . وإن كان الله يترك الشيطان أحياناً

ليجربنا ، فذلك لكى ننال الفوائد الروحية التى فى هذه الحروب . وعندما يضغطنا الشيطان باليأس أو بالإضطراب ، ينتهره الله قائلاً : اذهب يا شيطان .

قد تمر على الإنسان أوقات راحة من حروب الشياطين .

ويجد نفسه طيقاً فى مجال الله ، فرحاً بعشرته ، بل يتعجب كيف كان يخطئ قبلاً ويسقط . وفى وسط هذا الجو الروحى والجو المريح ، يشعر أن المسيح له المجد الذى جرب حروب الشيطان ، قد انتهر الشيطان من أجله ... وكأنه يقول للشيطان : أنا قد أعطيتك حرية التجربة والاختبار ، ولكن ليس إلى هذا الحد . فاذهب يا شيطان ...

صدقونى يا إخوتى إن الخطايا التى تقع فيها هى شىء قليل من حروب الشياطين التى كان يمكن أن تضغط علينا بعنف . ولكن الله منعنا قبل أن تصل إلينا . ولم يسمح للشيطان أن يجربنا بها . أما الحروب التى سمح الله بها ، فهى التى تقدر أن تقاومها . ولو سمح بالأخرى ما كنت تحتل ...

وقد تتعرض أحياناً لحرب قاسية ، وتكون على وشك السقوط ...

ثم تجد أنك نجوت من هذه الحرب بدون أن تشعر .

وذلك لأن الله قد تدخل . وقال للشيطان اذهب ... إنك ضغطت على هذا الإنسان بعنف ... ويذكرنا هذا بأن الله كان يضع للشيطان حدوداً فى حربه مع أيوب الصديق : مرة لا يمد يده إليه (أى ١ : ١٢) ، ومرة لا يمد يده إلى نفسه (أى ٢ : ٦) .

إن عبارة « اذهب يا شيطان » فيها عزاء كبير لنا .

تشعرنا أن حروب الشيطان محدودة ، وأنه ليست له حرية مطلقة حتى يفعل بنا ما يشاء . وأيضاً بأن الشيطان هو أيضاً تحت قبضة ضابط الكل ، القادر أن ينتهره حينما يشاء ، ويمنعه ويضع له حدوداً وسدوداً وقيوداً ... بل ويطرده . فلنطمئن إذن أن الحروب التى نتعرض لها هى فى حدود قوتنا وطاقتنا ومقاومتنا ، وأنه بإمكاننا أن نتصر عليها ، إن أردنا .

إن الله أعطانا سلطاناً على الشيطان ، نقول له اذهب فيذهب .

ولكننا فى أحيان كثيرة لا نشاء أن نقول له : اذهب .

أحياناً نتراخى فى حربه ، ونعطيه فرصة فينا وبجالاتنا . وأحياناً نرضخ ونتراخى

ونؤجل طرده. وأحياناً نفاوضه ونهادنه ولا نكون حازمين معه. بل أحياناً نستسلم له ،
أو نتعاون معه... ولا نشاء مطلقاً أن نقول له : اذهب ...

بل أخشى أن البعض يفتح له قلبه وحواسه ، ويرحب به !
كثيرون لا يستطيعون أن يطردوا الشيطان بكلمة اذهب يا شيطان . لأن بينهم
وبين الشيطان صداقات وعبة وعشرة . وهناك قيود تربطهم به وتخضعهم لإرادته . بل
لوانتهر الرب وذهب عنهم ، قد يسمعون هم إليه ، ويتوسلون إليه قائلين : إرجع إلينا
وأعنا... ! هم لا يريدون أن يبتعد الشيطان عنهم !

إن القلب النقي هو الذى يستطيع أن ينهر الشيطان ويقول له : اذهب . ويفرح
بانتصار الرب له . ولكن البعض له حاجة عند الشيطان يستبقيه من أجنها ، بل ويدافع
عنه ! تماماً مشأ فعل أهل أنسس فى دفاعهم عن آهتهم أرطاميس وتمثال (أع : ١٩ :
٢٨) . لذلك فإن الرب كان أحياناً - قبل أن يشفى إنساناً - يسأله أولاً : أتريد أن تبرأ
(يو : ٥ : ٦) .

فإن شاء الرب أن يطرد الشيطان عنك ، إستجب له ...
فلتتحد إرادتك مع إرادة الله فى طرد الشيطان من حياتك ، مهما كان ذلك
سيكلفك ، ومهما (أتعبك) ذهاب الشيطان بعيداً عنك . لأن الكتاب يقول « أمانة هى
جراح المحب . وغاشة هى قبلات العدو » (أم : ٢٧ : ٦) . فقد يقبلك الشيطان متظاهراً
بالحب ، موهماً إياك أنه يسعدك ويحقق شهواتك ورغباتك ، لكى لا تطرده من حياتك ،
بينما هو يعدة لك فخاخاً لهلاكك ! فلا تصدقه .

أدخل إلى أعماق قلبك وفكرك ، وقل : اذهب يا شيطان .

وحينما ينهر الرب هذا الشيطان ، إنتهره معه بكل صدق وبكل حزم وحسم ، مع
إلغاء كل ما سبق من علاقات بينك وبينه . ولا تحاول أن تجمع بين الله والشيطان فى
حياتك . لأنه « لا شركة بين النور والظلمة » (٢ كو : ٦ : ١٤) .

لا تصادق عدواً لله ، ولا تشترك معه فى أى عمل . واصرد كل متعلقاته فى حياتك
وفى بيتك وفى مكتبك . كن صوره ، وكل كتبه ومجلاته ، وكل ملاهيه وأغانيه
وقصصه ، وكل أجهزته ، وكل أعوانه . قل له : اذهب يا شيطان ، ومعك كل ما ينتمى
إليك . واقفل أمامه جميع الأبواب حتى لا يعود إليك .

وليكن طرداً ، بكل جدية ، طرداً نهائياً ، بتصميم ...
لا طرداً متذبذباً ، متردداً ، قلقاً ... كما يقول المثل العامى « عين فى الجنة ، وعين فى النار » ! وتأكد تماماً أن بقاء الشيطان بكل حيله ، خسارة لك . واحترس من أن تقبل ربحاً عن طريقه . لأن هذا (الربح) يكون ثمناً لحياتك وأبديتك ...
ومن الوسائل التى تساعدك فى طرد الشيطان :

١١ مقابلة الخطية بالوصية

إحفظ عدداً من الآيات فى مواجهة الخطايا التى تحاربك .
فثلاً إن حاربك الشيطان بالفضب قل له « إن غضب الإنسان لا يصنع بر الله »
(يع ١ : ٢٠) . أو قول أحد القديسين « ولو أقام الغضوب أمواتاً ، فما هو مقبول عند الله ، ولا يقبله أحد من الناس » .

وإن حاربك العدو بنظرة شريرة ، ضع أمامه قول الرب « من نظر إلى امرأة واشتهاها ، فقد زنى بها فى قلبه » (متى ٥ : ٢٨) . وإن حاربك بالزنا ، تذكر قول الرسول « أستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل الروح القدس » (١ كو ٦ : ١٩) ، « أستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح . أفاخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية ؟! حاشا » (١ كو ٦ : ١٥) .

وإن حاربك الشيطان بأخطاء اللسان ، ضع أمامك آيات الكتاب « كثرة الكلام لا تخلو من معصية » (أم ١٠ : ١٩) ، « ليكون كل إنسان مسرعاً إلى الاستماع ، مبطلاً فى التكلم » (يع ١ : ٢٠) ، وأيضاً قل « ضع يارب حافظاً لفعى ، وباباً حصيناً لشفتى » (مز ١٤١ : ٣) .

وإن حاربك الشيطان بحبة العالم الحاضر ، وما فيه من مغريات ، ضع أمام ذلك قول الكتاب « حبة العالم عداوة لله » (يع ٤ : ٤) . وأيضاً « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم ، فليست فيه حبة الآب » (١ يو ٢ : ١٥) ، « العالم يمضى وشهوته معه » (١ يو ٢ : ١٧) . وأيضاً تذكر كل ما ورد فى سفر الجامعة عن هذا الموضوع ، وبخاصة قول الكتاب « باطل الأباطيل . الكل باطل

وقبض الريح . ولا منفعة تحت الشمس» (جا ١ : ٢ ، ١٤ ، ٢ : ١١) .

وإن حاربك الشيطان بالكبرياء ، تذكر قول الكتاب « قبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح » (أم ١٦ : ١٨) . وأيضاً «يقاوم الله المستكبرين . أما المتواضعون فيعطيه نعمه» (يع ٤ : ٦ ، ١ بط ٥ : ٥) .

إن أسلوب مواجهة الخطية بالوصية ، من نصائح القديس مارأوغريس . وهو موجود بأسلوب واسع جداً في ميامره عن (حرب الأفكار) ، تستطيع أن تقرأها في مخطوطات الأديرة . ومع ذلك فأنت تستطيع أن تستخرج لنفسك من الكتاب مجموعة من الآيات تستخدمها في حروبك ، وتحفظها جيداً في ذاكرتك .

إن كلمة الله حية وفعالة (يع ٤ : ١٢) ولها تأثيرها .

وثق أنك حينما تتذكرها لا بد سيكون لها عمل رادع داخل نفسك . وهكذا قال الرب « كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إلى فارغة . بل تعمل ما سررت به ، وتنجح في ما أرسلتها له » (أش ٥٥ . ١١) . جرب إذن قوة كلمة الرب في حروب الشياطين

الفصل الخامس

مواضع الحروف الروحية

إن الله لا يمنع عنا حروب الشيطان . ولكنه يقف معنا فيها ، وأيضاً يجعلها لفائدتنا الروحية .

ومن أجل هذا ، فإن القديس الأنبا أنطونيوس ، بعد أن عاش معه القديس بولس البسيط فترة محتمياً تحت ظل صلواته ، طلب منه الأنبا أنطونيوس أن يسكن وحده ، لكي يستطيع في الوحدة أن يجرب حروب الشياطين ويقتني منها فائدة لنفسه .

فما هي الفوائد الروحية التي تقتني من حروب الشياطين ؟ والتي مارسها المتوحدون في البراري والقفار حتى تفرغوا لمحبة الله ، وبالتالي لقتال العدو؟

١ - الفائدة الأولى هي الإلتضاع :

كلما تشدد حروب الشياطين على إنسان في قوة وعنف ، يشعر بضعفه أمامها ، فيزول عنه انتفاخه ، وينسحق قلبه من الداخل ، ويرى أنه معرض للسقوط ، وأن إرادته ليست معصومة من الخطأ . ويعرف أن الخطية « طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء » (أم ٢٦ : ٧) .

٢ - الصلاة والتمسك بالله وطلب معونته :

الإنسان وهو مستريح ، قد لا يطلب المعونة الإلهية ، وقد لا يشعر أنه في صيغ الاحتياج إليها . ولكنه إذا اشتدت عليه الحرب ، يصرخ إلى الله لينصره على عدو قاس . وهكذا إذ يشعر بضعفه يتمسك بالرب في صلاة عميقة ، وفي صلوات قوية ؛ هذا الذي قال « أدعني في وقت الضيق ، أنقذك فتمجديني » (مز ١٥٠ : ١٥) .

٣ - الحروب الروحية تدعو إلى الإشفاق على المخطئين :

الذي لم تحاربه الشياطين ، قد يقسو على المخطئين ويدينهم في سقوطهم . أما الذي حارب ، وقد جرب عنف العدو ، فإنه يشفق على كل خاطيء ويصل لأجله . وكما قال القديس بولس الرسول « أذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم . واذكروا المذلين

كأنكم أنتم أيضاً في الجسد (عب ١٣ : ٣) . وقال عن رب المجد «لأنه فيما هو قد تألم مجرباً ، يقدر أن يعين المجربين» (عب ٢ : ١٨) .

٤ - والحروب الروحية تعطى الإنسان خبرة :

فيتمرس بالقتال ، ويتعلم الحرب ، ويعرف حيل العدو وفنونه ، ويأخذ خبرة سواء من قيامه أو سقوطه . والمعروف أن كل ارتقاء درجة يسبقه امتحان ، من يجتازه يرتفع هذه الدرجة كما يحدث لطلاب العلم . وهذا نرى أن الذين قد دخلوا في حروب العدو إكتسبوا خبرة .

والخبرات الروحية هذه هي مدرسة تخرج مرشدين روحيين ، قادرين على معونة غيرهم وتشجيعهم وكشف حيل العدو لهم .

٥ - والحروب بركة ننال بها أكاليل :

وكما قال أحد القديسين : لا يكلل إلا الذى انتصر . ولا ينتصر إلا الذى حارب . وفى احتمالنا لحرب العدو ، وصمودنا فيها ، ومجاهدتنا ومقاومتنا ، فى كل ذلك تظهر محبتنا للرب ، وننال على ذلك أكاليل . وكما قال أحد الآباء : ليس الجنود المنتصرون هم فقط الذين ينالون أكاليل فى الحرب ، وإنما أيضاً الذين جرحوا وأصيبوا ، ماداموا لم يستسلموا للعدو وقاتلوه .

٦ - والحروب تعطينا باستمرار روح الصحو والإستعداد :

وكما قال الرب « لتكن أحقاؤكم منمنطقة ، ومصايحكم موقدة » (لو ١٢ : ٣٥) . شعور الإنسان بأنه فى حرب ، يجعله باستمرار مستعداً للقتال ، يستخدم كل الوسائط الروحية من صلاة وصوم وانضاع ومشورة روحية ، لكى ينتصر . بينما ربما لو خفت الحروب ، لقاده ذلك إلى الفتور الروحى . أما الحرب فتجعله فى حالة تأهب مستمر ، وفى حالة حرص وتدقيق . والخوف من السقوط يجعله يستعد بأكثر قوة حتى ينتصر .

٧ - والحروب الروحية نجعلنا أقوياء لا نخاف :

إنما يخاف الحرب ، الشخص الذى لم يدخلها ولم يقاتل . أما الذى يجرب

الحروب ، فإن ذلك يعطيه شجاعة وجسارة قلب . وما يأخذه من أكاليل يشجعه على دخول حروب أخرى ، ولا يخشى الفشل في الحرب . هل يستطيع تلميذ أن يقول إننى من خوف السقوط لا أدخل الإمتحان ، بل ولا أدرس ولا أدخل مدارس ؟! كلا . بل هو يدخل الإمتحانات في شجاعة قلب ، ويقول : سأنتصر على كل مصاعب العلم وامتحاناته .

٨ - والحروب الروحية هي مدرسة للإيمان :

نرى فيها يد الله كيف تتدخل ، وكيف تعين وتنتصر ، وكيف تنتهر العدو ، وكيف تعطى داود الصغير القوة لينتصر على جليات الجبار . وهكذا تعمق إيماننا في محبة الله ورعايته وعمله لأجلنا .

٩ - والحروب الروحية هي مبدأ تكافؤ فرص للشيطان :

أخذ الفرصة التي يقاتل فيها ، وبكل قوته . لنلا يحتج الشيطان على أولاد الله ويقول : لماذا يكافئهم الرب ؟ إننى لو أخذت فرصة لأسقطهم ، كما اشتكى أيام أيوب ، وأخذ فرصته ، وبقي أيوب محفظاً بكأله (أى ٢) . فالله يسمح للشيطان بأن يحارب المؤمنين ، ويعطى المؤمنين قوة على الانتصار ، ويخرج الشيطان في خزى .

١٠ - وأخيراً فالحروب الروحية تفتح أبواب الملكوت لنا ، وتحدد درجتنا فيه :

وكل إنسان ينال أجرته بحسب تبعه ، وبحسب جهاده . وهذا نرى المؤمنين يبذلون كل جهدهم لكى يعبروا لله عن حبه . لأنه كيف يظهر حبه دون أن يُختبر بالحروب الروحية . وكيف تتحدد درجتهم في الملكوت بدون هذا الاختبار الروحي . فليكن الرب معنا في كل حروبنا الروحية ، يقودنا في موكب نصرته .

في هذا الكتاب

بسم الاب والابن والروح القدس
الاله الواحد لهي

إن عرفت منك وأسلوبه في
القتال ، يمكنك أن تخطه منه .
وهذا الكتاب الذي بين يديك يشرح
لك هذا الأمر .

يشرح لك كيف يصل الشيطان
و يكشف لك صفاته في حروب ،
وكذلك حيله ووسائله التي يحاول بها
إسقاط الإنسان .

يقدم لك ٢٥ حيلة من حيل
الشيطان في حرم عنا .
مع ردود عليها لكن لغرض منها .
وكما يشرح لك الحروب ، يشرح لك
كيف تنتصر . والوسائل التي تستخدمك
من الانتصار . فالانتصار سهل ويمكن .
والشيطان ليس قوياً بالقوة التي
تعتقد .

ثم يشرح لك قواعد الحروب
الروحية .

إنه الجزء الأول من كتاب كبير من
الحروب الروحية : حرباً حرباً
بالتفصيل .